517

٥١٧

قلوب عبير

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

لحظة الندم

ليز فيلدنغ

لحظة الندم

ليز فيلدنغ

لم تكن لدى جوانا أية خبرة مع الرجال، من قبل. لقد دخلت عالم الرجال كمهندسة مدنية وشعرت بالمودة نحو البعض منهم بالتأكيد، ولكنها لم تعرف، من قبل، مثل هذا الشعور المغناطيسي الذي شدها إلى كلاي تاكيراي. لقد أحبته، ولم تشك في هذا... وقد لاحقها هو برغبته... وهذا كان الاختلاف الأول بينهما.

الاختلاف الثاني كان حين أخذت تتساءل عما إذا كان قد رغب فيها لنفسها أم لاسهمها في الشركة. وفي النهاية لم تشأ أن ترتدي المئزر لتطبخ وتعتني بالأطفال. وقد قيل: «لا تتزوج بسرعة، فتندم على مهل.»

قالت: «ولكن الناس لا يتزوجون لأجل الرغبة.»

قال وهو يأخذها بين ذراعيه: «أحقاً؟ وماذا غير ذلك يدفعهم إلى الزواج؟»

ارتجفت بين ذراعيه، وعندما تأكد من انتصاره، ابتسم قائلاً: «إنني أريدك يا جو. وعندما رأيتك تقبّلين بيتر لويد، هذا النهار، شعرت بمدى رغبتي فيك.»

قالت معترضة: «هذه سخافة.»

قال بلطف: «اقنعيني إذن.»

ليز فيلدنغ

ولدت ليز فيلدنغ في بيركشاير في انكلترا. وتعلمت في مدرسة دير في ميدين هيد في العشرين من عمرها سافرت إلى افريقيا لتعمل سكرتيرة في «لوساكا» حيث قابلت زوجها المهندس المدني جون. وامضيا العشر سنوات التالية يعملان في افريقيا والشرق الأوسط. وبدأت الكتابة أثناء الليالي الطويلة التي كان زوجها يعمل فيها بعيداً عنها بعقود عمل. وقد استقرت ليز وزوجها الآن في «وايلز» مع ولديها آمي ووليام.

٥١٧

khouloub Abir 517

لحظة الندم

ليز فيلدنغ

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

تصاعد رنين جرس الباب ملحاً. تململت جوانا في سريرها متذمرة، فقد كانت قد صممت على أن تمضي صبيحة هذا اليوم، السبت، متكاسلة في فراشها حيث أنها كانت أول عطلة تأخذها منذ اسابيع. وما لبثت أن تناولت رداءها المنزلي كي تضعه على جسمها، وهي تصرخ قائلة: «ها أنا قادمة.»

ابتسم ساعي البريد عندما فتحت الباب وهو يقول: «أنا آسف لازعاجك يا آنسة غرانت. ولكن هناك رسالة مسجلة تحتاج إلى امضائك.»

اخذت جو منه الرسالة بعد أن وقعت بإمضائها، ابتسم الساعي مرة أخرى وهو يقول: «شكراً. يمكنك أن تعودي الآن إلى فراشك.» نظرت إليه مبتعداً، ثم عادت تنظر إلى المغلف السميك في يدها. لا بد أن ثمة شيئاً هاماً في داخله، وفتحته، لتخرج منه ورقة واحدة قرأتها بسرعة، ثم قطبت حاجبيها. كانت الرسالة من مكتب شركة محامين يقدم عرضاً مغرياً لشراء العدد الكبير من الاسهم التي ورثتها عن أبيها.

اعادت قراءة الرسالة للمرة الثانية. لم يكن ثمة اسم الشاري، وانما، «وصلنا عرض من شخص بأن...» وهذا كل شيء. هزت جو كتفيها، ثم ألقت بالرسالة بعيداً لكي ترد عليها في ما بعد. إن شخصية الشاري لا

تهمها، لأن اسهمها من شركة ريدموند للبناء ليست للبيع.

«أنت، يا فتى!»

ألقت جو نظرة ساخطة من فوق السقالة. إنه احمق آخر قصير النظر يظنها فتى لأنها تقف إلى ناحية البناء. ولكنها، مع هذا، أخذت تتفحص باهتمام ذلك الرجل الذي كان واقفاً في الساحة، وبالرغم من بعد المسافة، فقد استطاعت أن ترى أنه طويل القامة يرتدي بذلة من التويد جميلة التفصيل. كان يبدو، على وجه العموم، أنيقاً لا تشوبه شائبة.

ردت عليه من أعلى: «ماذا تريد؟»

رفع يده يقي عينيه من أشعة الشمس وهو يصرخ مجيباً: «أريد السيد جو غرانت. هل هو عندك هناك؟»

ردت عليه قائلة: «ها أنا نازلة إليك.» وهبطت الدرجات مسرعة لتستدير إلى حيث واجهت الرجل الغريب ذاك. وكانت على صواب بالنسبة إلى طوله، إذ وجدته يفوقها طولاً بحيث أنها، وهي التي يقارب طولها المئة وسبعين سنتمترا، وجدت نفسها ترفع رأسها لتنظر إلى وجه لوحته الشمس لرجل تستدعي شخصيته الاهتمام، ذي عينين زرقاوين تتألقان بالحيوية وتتناقضان مع شعر أسود مجعد لم يكن يبدو عليه القابلية للخضوع لأية قصة أو تسريحة مهما بلغت مهارة الحلاق. واخذت عيناه الزرقاوان تحدقان فيها بحيرة وكأنه شعر بأن ثمة خطأ في مفهومه نحوها، لا يدري ما هو بالضبط.

اهتز اعتدادها وثقتها بنفسها إزاء السرعة المفاجئة

لضربات قلبها عندما وقع نظرها على هذا الغريب الملوح البشرة، لتشعر بوجنتيها تلتهبان بينما فغرت فاها صامتة تنظر إليه. وأخيراً، وجاء صوتها الذي كان حاداً لدرجة صعقت لها، وهي تقول: «حسناً؟»

بدت على جبينه تقطيبة بسيطة، وقال برقة نفذت إلى اعماق نفسها: «اسمي تاكيراي، وأريد أن أرى جو غرانت لقد اخبرتني فتاة في المكتب أنه يعمل هنا.»

وضعت جو يديها في جيبي سروالها بحركة صبيانية دون وعي منها، ثم مشت مبتعدة عنه وهي تناديه من فوق كتفها قائلة: «يمكنك أن تتفضل إلى هذا المكتب يا سيد تاكيراي.»

أجاب متباطئاً في اللحاق بها: «لقد سبق وذهبت إلى ذلك المكتب ولكنه لم يكن هناك.» قالت جو وهي تفتح باب المكتب ثم تنتظره: «لابأس، سيكون هنا.» ثم دخلت المكتب بينما هز كتفيه وتبعها. خلعت قبعتها الخشنة وقد داخلها سرور الظفر وهي تسمع هتاف الدهشة من ذلك الرجل لدى رؤيته لشعرها الكث الكستنائي الفاتح وهو يتناثر حول وجهها، ثم استدارت تواجهه قائلة: «انني جو غرانت، يا سيد تاكيراي، والآن ما الذي تريده بالضبط؟»

بدت في عينيه ابتسامة دافئة وهو يعترف بغلطته قائلاً: «ثمة امور كثيرة في فكري. ربما تتقبلين اعتذاري المتواضع؟»

أجابت: «ربما.» ولكنها كانت تشعر، وهي تحاول أن تغطي تصاعد نبضها، إزاء ابتسامته، بإظهار التهذيب الهادىء.

سألها: «هل يحصل، عادة، مثل هذا الخطأ؟»

أجابت: «كثيراً جداً. ليس ثمة سبب لكي تظن في نفسك الغباء.»

قال: «أوه، انني لا أشعر بذلك. حتى أجمل امرأة قد تبدو كالرجل إن هي ارتدت مثل هذه القبعة والجاكيت.»

لم يفتها تهكمه المبطن وهو يلمح إلى أنها، مادامت غير جميلة جداً، فمن المنطقي أن يخطىء هو بهذا الشكل.

قالت له: «ربما من الأفضل أن تدخل في الموضوع، يا سيد تاكيراي.»

سألها: «أي موضوع، يا آنسة غرانت؟»

أجابت: «لقد كنت تبحث عني، وها أنك وجدتني الآن.»

تلاشت الابتسامة عن وجهه واتخذت ملامحه سمة الجد وهو يقول: «آه، تعنين ذلك الموضوع. حسناً، الموضوع يا آنسة جو غرانت، أنني جئت لادعو صاحب هذا الاسم إلى الغداء. ما قولك؟»

وقطبت جو جبينها بدهشة وهي تقول: «الغداء؟ ولماذا تريد دعوتي إلى الغداء؟»

نظر إليها وقد ازداد التصميم في عينيه وسألها: «وهل تدهشك مثل هذه الدعوة؟» كان ثمة هالة من الجاذبية تحيط به. وأدركت هي، بشيء من الإثارة، أنه يعبث معها.

أجابت: «إنها تدهشني طبعاً لأنك لا تعرفني.»

قال: «هذا صحيح. وإنني اعترف أن جو غرانت الذي أبحث عنه هو رجل ملتح ضخم الجسم، في الخمسين من عمره. ولكنني سعيد جداً بأن تكوني ممثلة له.»

فجأة، جلست جو وهي تقول: «انني لست ممثلة له، بل أنا اقرب الناس إليه. ذلك أن أبي قد توفي.»

بانت في صوته صدمة وهو يقول: «هل توفي جو؟ ولكنه لم يكن كبير السن.»

وبدا عليه الأسى بشكل واضح وهو ينظر من النافذة لبرهة. ثم ما لبث أن نظر إليها وكأنه رآها لتوه، ثم سألها: «هل أنت ابنة جو؟ صاحبة تلك الصورة الموضوعة على مكتبه؟ ولكنك كنت تضعين نظارة طبية؟»

تذكرت جو تلك الصورة المفزعة التي يحيط بها إطار قديم، والتي كانت مدفونة تقريباً في الفوضى التي كان غارقاً فيها مكتب أبيها، وقالت: «نعم، لقد كنت أضع نظارة، مسكين أبي. لقد كنت، عادة، اتجنب أن تؤخذ لي أية صور فوتوغرافية. ولكن لم يكن ثمة مهرب من أن تؤخذ لي صورة في المدرسة، واضطرت أمي إلى شرائها. ولكنها، مراعاة لشعوري، لم تضعها بقرب صورة شقيقتي.»

قال: «أحقاً؟ ولماذا كان ذلك؟»

هزت كتفيها قائلة: «ان لشقيقتي هيثر شعراً أجعد وأسناناً منتظمة جميلة وعينين سليمتي النظر. ولكن أبي اشفق عليّ ووضع صورتي على مكتبه.»

نظر إليها متحفصاً بعينين تنطقان بالثقة بالنفس ثم سألها: «انني متأكد من أنك تسلمين هذه الأيام، لأختك صلاحية استخدام اموالها، يا آنسة غرانت.»

ابتسمت بهدوء وهي تقول: «أخشى أن لا يكون الأمر كذلك، يا سيد تاكيراي، ذلك أن هيثر ما زالت تمثل الجمال في الأسرة، بينما عليّ أنا أن اتعامل مع العقل.»

www.elromancia.com

قال: «مسكينة أنت.»

تصلب جسدها وهي تقول على الفور: «انني لا أريد شفقة من أحد، يا سيد تاكيراي.» وما لبثت أن تضرج وجهها غضباً إذ انتبهت إلى تسرعها الغبي وهي ترى الضحك في عينيه.

ان هذا الرجل يتدخل في حياتها، محطماً الحواجز التي تقيمها حولها كثمن لقبولها في عالم الرجال.

قال: «انك في حاجة إلى تقوية تقديرك لنفسك وأرجو أن لا يسيئك قولي هذا. ولكنني اوافق معك أنك لست في حاجة إلى شفقة مني أو من غيري.» وقبل أن تجيبه، كان هو قد غير الموضوع قائلاً: «لقد قال جو، عند ذاك، أنك ستتابعين عمله، وقد ظننته، في ذلك الحين، يمزح.»

قالت: «هذا صحيح، يا سيد تاكيراي، وعندما ادرك غلطته، كان الأوان قد فات لكي يفعل أي شيء بذلك الشأن.»

سألها: «وهل حاول ذلك؟»

أجابت وهي تتذكر الزهو الذي ساد ملامح أبيها، يوم تخرجت من الجامعة: «لم يحاول بشكل كاف.»

بان عليه التفكير وهو يقول: «فهمت.»

كانت تظن أنه، بعد أن اكتشف أن مهمته كانت فاشلة، لا بد سيستأذن خارجاً، ولكنه، بدلاً من ذلك، قال:

«انني شديد الأسف لما سمعته عن موت جو، يا آنسة غرانت، ما الذي حدث؟» وكان يبدو على وجهه الاهتمام البالغ مما جدد آلامها وبعث غصة في حلقها. وأخذت تحدق في البرنامج الموضوع على مكتبها إلى أن استطاعت ان تتمالك دموعها فلا تنهمر.

عادت جو من ذكرياتها لتنظر إليه قائلة: «لقد كان في سيارته عندما اصابته ذبحة قلبية قبل ثلاث سنوات...»

قال: «انني آسف. انني لم أعلم بذلك إذ كنت في الخارج أعمل في كندا، وعندما ابتدأت أجدد العهد بمعارفي القدماء اتصلت هاتفياً بمكتب ريدموند، سائلاً عن أبيك، فأجابوني...»

قاطعته قائلة: «لا بأس. إنها غلطة بسيطة وهي تحدث دوماً. لقد تعودت على ذلك.» ومدت إليه يدها مصافحة بابتسامة شابها أسى خفيف: «جوانا غرانت.»

كانت قبضته دافئة قوية. قبضة رجل جدير بالثقة قدّم نفسه قائلاً: «كلايتون تاكيراي.»

قالت: «حسناً، انني آسفة إذ جاءت رحلتك إلينا خائبة، يا سيد تاكيراي.»

قال وقد بان العزم في عينيه: «إنها لم تكن خائبة.» نظر في عينيها، فأسرعت تشيح بناظريها عنه بعيداً، وهي تقول: «ليس في إمكاني أن اكون بديلاً كاملاً من أبي.»

قال: «لقد كنت أحب أباك وأعجب به، يا جوانا. ولكنني أظن أن الغداء معك سيكون ممتعاً. خصوصاً، إن استغنيت عن حمالات السروال.»

قالت معترضة: «ليس عليك أن تدعوني، فلا تكن أحمق. لا ينبغي عليّ...»

سألها: «لِمَ لا؟»

أجابت: «لأن...» وسكتت إذ لم يكن هناك أي سبب في الحقيقة، عدا عن أنها تبالغ في سبيل الاحتفاظ بسكينتها النفسية.

www.elromancia.com

ابتسم وكأن في استطاعته أن ينهي المعركة التي تدور في اعماقها، وقال: «ارغمي نفسك على ذلك، يا جوانا.»

قالت وهو ما زال ممسكاً يدها بيده الكبيرة: «انني... أشكرك.» وهكذا وجدت نفسها تقبل الدعوة دون ان تفهم تماماً السبب في ذلك، غير مدركة أنه رجل لا يقبل كلمة، لا جواباً.

قال: «ان هذا من دواعي سروري، وقد حجزت مائدة في مطعم جورج في طريقي إلى هنا. فقد كنت مصمماً على دعوة أبيك.»

قالت مازحة وهي تميل برأسها جانباً: «حقاً؟ من الأفضل إذاً أن اغير حذاء العمل هذا. ولكن، ليس عليك أن تكلف نفسك، يا سيد تاكيراي، فما أنا إلا مهندسة هنا، وعادة أتناول سندويشاً وقت الغداء.»

أشرق وجهه ضاحكاً لتتغضن زوايا عينيه وفمه، وهو يقول: «انني لست باحثاً عن عمل، يا جوانا، كما أن اصدقائي يدعونني كلاي. سأنتظرك في السيارة بينما تقومين باصلاح شأنك كما تريدين.»

خلعت حذاء العمل من قدميها لتضع بدلاً منه حذاء ذا كعب عالٍ. ومررت على سروالها الرمادي الفرشاة وهي تتمنى لو أنّ لديها تنورة في المكتب لترتديها، بدلاً منه. لقد فضلت، عند شراء تنورتها الصوفية الناعمة العاجية اللون، أن تضمن فيها الراحة اكثر من الزي الذي ترتديه. ولكن كنزتها كانت جميلة على الأقل، يمتزج فيها اللونان الوردي والأبيض والتي كانت هدية من اختها الكبرى هيثر التي كانت تدير متجراً للأزياء، والتي كانت تحرص على اضافة

لمسات انثوية إلى خزانة اختها جو التي لم تكن تحوي سوى ثياب العمل الخشنة. وأزاحت جانباً التقويم السنوي الذي يغطي المرآة التي كانت قد تخلت عنها في عالم الرجال هذا الذي تعيش فيه، ثم ألقت على نفسها نظرة معترضة.

قالت تحدث نفسها بحزم وهي تهز كتفيها: «لا تخدعي نفسك يا جو، فهو لم يدعك إلى الغداء إلا لأنه يعرف أباك، فلا تدعي الأفكار الحمقاء تراودك.» ومطت شفتيها ساخرة من نفسها، ولكن، لا بد أن هيثر كانت ستشعر بالسرور وهي ترى أختها تطيل وقوفها أمام المرآة تصلح من شعرها وزينتها.

فتح لها كلاي باب السيارة حيث اطمأن إلى راحتها قبل أن يتخذ مقعد القيادة. ولاحظت هي الأعين التي تراقبها باهتمام من مختلف الأنحاء، وعرفت أنها ستكون عرضة للألسن لأيام عديدة بعد ذلك، من قبل زملائها الرجال الذين يعملون معها على السقالات إذ يمدون لها ايديهم يساعدونها بأدب مبالغ فيه.

قال: «الأمر نفسه كان سيحدث من قبل زملاء العمل لو كنت أنت رجلاً اصطحبتك فتاة، وربما أسوأ.»

ضحكت هي قائلة: «هل تحصّل معيشتك من وراء قراءة الأفكار؟»

أجاب: «كلا، ولكنني كنت مهندس بناء أنا أيضاً.»

قالت وهي ترمقه بنظرة جانبية من تحت اهدابها الكثيفة: «أحقاً؟ ليس عندي شك في أن ثمة فتيات كثيرات كن يلاحقنك.»

www.elromancia.com

استدار إليها باسماً وهو يقول: «بل قليلات، وأبوك كان يعرف تماماً كيف يغيظني.»

قالت: «نعم. هذا صحيح.» فقد كانت تعمل مع أبيها في البناء أثناء عطل الصيف الطويلة من الجامعة وكانت تعرف طريقته في العمل. فقد كان يستغل أقل خطأ ليجعل من مقترفه موضع سخرية وهزء. وكانت هي تكره هذا الأسلوب. ولكن هذا خشّن من شخصيتها. هدرت سيارة الأوستن بخفة وهو يتوجه بها نحو الشارع الرئيسي، قالت جو: «إنها سيارة جميلة.»

أجاب: «نعم، كانت لأبي، إنه لم يستعملها كثيراً، مؤخراً، ولكنه لم يقبل أن يبيعني إياها إلا بعد أن تأكد من أن عمري كافٍ لجعله يثق بي.»

سألته: «وكم عمرك؟»

أجاب: «ثلاثة وثلاثون. ما رأيك؟ لقد أراد الرجل العجوز أن ينتظر عاماً آخر. ذلك أنه لم يمتلك سيارته الأوستن الأولى إلا في الخامسة والثلاثين. ولكنني ارغمته على تسليمي إياها بعد أن هددته بشراء سيارة ب. أم دبليو.»

دخل في هذه الأثناء موقف سيارات مطعم جورج.

قالت: «ما أشد فظاعة صنعك هذا.» ولكن ضحكها لطّف من كلماتها.

قال: «حقاً؟» وتلامست يداهما بينما كان يفك حزام أمان السيارة من حولها. تلاقت انظارهما، وللحظة طويلة، ظنت جو أن الزمن قد توقف.

قال: «أريد أن اقبلك، يا جو غرانت.» مست نبرات صوته

كل عصب في جسدها. غصت بريقها وهي تشعر بصعوبة في تنفسها بينما كانت دقات قلبها تعلو. ليس من المفروض أن تقبل الفتيات الرجال في أول مرة يتقابلن فيها. كما أنهن لا ينبغي أن يعترفن برغبتهن في ذلك. رفعت حاجبها وهي ترد عليه قائلة:

«وهل تحصل دائماً على ما تريد، يا كلايتون تاكيراي؟»

قال بثقة: «دائماً.»

تملكها الاضطراب للعزيمة التي لمحتها في عينيه، وحاولت أن تضحك قائلة: «أحقاً يا سيد تاكيراي؟ لقد كنت أظن أن العادة تقضي بأن تطعم الفتاة قبل أن تحقق هدفك.»

حدق فيها كلاي تاكيراي لحظة، ثم ترك الحزام من يده وهو يقول: «معك حق، طبعاً. فهذا مجرد غداء فقط، ولكنني سأعطيك فكرة عن موضوع العشاء.»

قبل أن تستطيع استجماع افكارها، كان قد فتح باب السيارة لها. ولم ينطقا بكلمة وهو يقودها إلى داخل المطعم بيد شعرت بها تحرق ذراعها. وبنظرة من كلاي إلى النادل سارع هذا يقودهما إلى مائدة بجانب نافذة تطل على النهر.

بقيت تحدق من النافذة إلى ذلك المنظر أو أي شيء يجعلها تتجنب النظر في ذلك الوجه المقابل لها. لقد امضت حياتها العملية بجانب الرجال، وكان من النادر أن يعوزها الأمر إلى كلمة واحدة معهم. ولكنها الآن لا تجد شيئاً تقوله.

لكن مشكلة كهذه لم تكن تضايق كلاي الذي قال: «دعيني أحاول أن اقرأ افكارك مرة أخرى.» واتسعت عينا جو

www.elromancia.com

الرماديتان. لم تكن الأفكار التي تعتمل في ذهنها من النوع الذي تحب أن يقرأه.

سألها ببشاشة: «البط؟»

قالت في محاولة لتلطيف الجو: «هل هذا يعود إلى التدريب أم إلى قوة الملاحظة؟»

أجاب مشيراً إلى الطيور في النهر: «قوة الملاحظة. بدا لي اعجابك بها فتساءلت عما إذا كنت تودين واحداً منها لغدائك.» وناولها قائمة الطعام متابعاً قوله: «أو ربما تريدين إلقاء نظرة على انواع الطعام هنا.»

عندما عاد النادل إليهما، كانت قد اختارت ما تريد بهدوء.

سألها: «اتريدين أن تشربي شيئاً؟»

أجابت: «عصير الأناناس من فضلك.» وأدلى كلاي بطلبه إلى النادل طالباً مياها معدنية لنفسه.

سألته: «لقد قلت انك قادم لتوك من كندا؟ ماذا كنت تعمل هناك؟» كانت تحاول أن تجعل جو الحديث طبيعياً.

أجاب: «كنت أعمل. لقد كانت أمي كندية ـ فرنسية. وعندما توفيت، أدركت انني لا أعرف عنها وعن وطنها سوى القليل، فأردت أن اتعرف إلى كل ذلك.»

عادت تسأله: «هل أنت في عطلة الآن؟»

تردد برهة قبل أن يقول: «ليس تماماً. ولكنني أبحث عن اصدقائي القدامى. وعندما قالت موظفة الاستقبال في شركة ريدموند ان جو كان يعمل هنا، كان من السهل عليّ أن أجرب حظي في أن اجده حيث يقوم البناء نظراً لقربه من منزلي.»

سألته وهي تحاول تجاهل تصاعد ضربات قلبها بعد إذ علمت أن منزله قريب: «منزلك؟»

أجاب: «لقد اشتريت كوخاً على ضفاف النهر في ناحية كاملي عندما كنت هناك في عطلة الميلاد.»

حسناً. هذا شأنه هو، فما الذي دعاها لأن تثرثر فرحة كالأطفال قائلة: «انني اعشق تلك الناحية، كاملي، فهي ما زالت تمثل جمال الطبيعة الفطري الذي لم يلحقه التشويه.»

قال دون أن يلحظ ما أصابها من إثارة: «نعم، ولهذا السبب اشتريته. وقد تبدو هذه حماقة، إذ أن مكتبي في لندن وكان يناسبني اكثر لو اشتريت شقة هناك. ولكنني لم استطع مقاومة جمال ذلك الكوخ، إنه قديم وفي حاجة إلى اصلاحات كثيرة ولكنني اظن ذلك جزءاً من سحره. لقد انتهى ترميمه الآن، وهو صالح للسكن ولكنني ما زلت مخيماً بجانبه حالياً.»

سألته: «إذاً، فأنت لن تعود إلى كندا؟»

أجاب: «ليس في المستقبل المنظور على الأقل.» لحظها بنظرة ثاقبة وهو يسألها هازلاً: «هل سرّك هذا؟» انقذها مجيء النادل بالطعام، من الارتباك في الجواب. ونظرت إلى سمك السلمون الذي وضعه امامها وقد شعرت بالاشمئزاز من لونه الوردي، نفس اللون الذي كانت تدرك جيداً أنه يصبغ جبينها.

قال وهو يقدم الطبق: «سلمون؟ انني مسرور جداً به.» نظرت إليه لتكتشف أنه لم يكن يسخر منها، كما ظنت، وأن ابتسامته كانت للطعام.

www.elromancia.com

ازدردت ريقها، وهي تتناول منه الطبق سائلة: «هل عملت مع أبي مدة طويلة؟»

أجاب: «كان أول مدير مشاريع أعمل معه. التحقت بشركة ريدموند عقب تخرجي من الجامعة ووضعت تحت امرته في العمل، وكنت بذلك محظوظاً جداً. لابد أنك تفتقدينه كثيراً؟»

قالت: «نعم، انني افتقده. لقد كنت اريده لكي...» وسكتت إذ كان ما تعنيه شأناً خاصاً لا تحب أن تشارك فيه احداً أو تتحدث فيه علناً.

أحس بأنه دخل خطأ، منطقة خطرة من مشاعرها، فغير الموضوع حيث أخذ يصف حياته في كندا، والبلاد نفسها، حتى بدأت أخيراً تسترخي في مكانها.

عندما قدمت القهوة، اتكأ في مجلسه إلى الخلف وأخذ ينظر إليها جاداً وهو يسألها: «ما هي خطتك المهنية للمستقبل، يا جوانا؟ إنك، طبعاً، لن تبقي في البناء؟»

أجابت بزهو: «انني أول امرأة استخدمتها شركة ريدموند كمهندسة بناء. وقد قررت أن أكون أول امرأة يستخدمونها مديرة للمشاريع.»

إذا كان قد شعر بالدهشة لجوابها هذا، فانه استطاع اخفاءها، ولكن سؤاله التالي أوضح تفهماً منه لما يمكن أن ينطوي تحت هذا القرار من مشكلات. إذ قال: «اتظنين أن هذا العمل يترك مكاناً لحياة خاصة بك؟»

أقرت قائلة: «ليس كثيراً.»

عاد يسألها: «ولكن، ماذا بالنسبة إلى الزواج وإنشاء اسرة؟»

أجابت: «إن الرجال يستطيعون القيام بالأمرين في

الوقت ذاته.» لم تكن غريبة عن مثل هذه المناقشات. فقد اعتادت شقيقتها الكبرى دوماً أن تحاول اقناعها بأن تتخذ مهنة تقليدية، حتى أنها عرضت مرة أن تسجل هذه المناقشات على آلة التسجيل كي تستمع إليها ولو مرة واحدة يومياً... وذلك تجنباً لها للمضايقة، ولكن عبثاً. فمنذ وقت طويل توقفت هيثر عن محاولة تغيير اطباع شقيقتها، وتكتفي حالياً بأن تثابر على تقديم الثياب الجميلة لها، من متجرها، لكي تحسن من مظهرها.

أجاب كلاي: «هذا صحيح، ولكن الرجال لا يحبلون. وصعود السلالم ونزولها طيلة النهار، بالنسبة إلى امرأة حامل يسبب مشكلات لها، ألا تظنين هذا؟»

لكن، لما كانت جو غير مصممة على الزواج في المستقبل المنظور، فقد تجاهلت السؤال، وألقت نظرة إلى ساعتها قائلة: «يجب أن اعود، فقد تأخرت.»

نظر إليها كلاي لحظة، مفكراً، ولكنه لم يتابع الموضوع بل بالعكس، أشار إلى النادل طالباً قائمة الحساب ثم سألها: «وبالنسبة إلى العشاء، أين سأوافيك بالسيارة؟»

حملتها دهشتها لرغبته في أن يراها مرة أخرى، على أن تطلق ضحكة حائرة وهي تقول: «ليس ثمة حاجة لذلك يا كلاي. لقد كان لطفاً منك أن تدعوني مرة إلى الغداء...»

مال إلى الأمام قائلاً: «انني لم احضرك إلى هنا لأكون لطيفاً. انني ما زلت أريد أن اقبلك، يا جو غراتت. لقد كنت أنت من اشترط ذلك في البداية. طبعاً، ربما غيرت رأيك.»

www.elromancia.com

«لكنني لم...» وأحجمت جوانا عن انكارها وهي تقف. لقد كان حواراً سخيفاً ولم يكن في نيتها الاستمرار فيه. ونهض كلاي بدوره، بينما ابتسمت هي قائلة وهي تمد يدها إليه برزانة قائلة: «لا أريد أن استعجلك. وأشكرك على هذا الغداء، انني لن ازعجك في توصيلي إذ يمكنني أن استقل سيارة أجرة إلى عملي.»

هز يدها صامتاً، بينما اجتازت هي قاعة الطعام قاصدة مكتب الاستقبال لتستعمل الهاتف. وأخذت تفتش في حقيبتها بضيق، وكان هو مستنداً إلى الجدار يراقبها، فقال: «أيمكنني أن اقدم إليك بعض القطع النقدية الصغيرة؟»

قالت ببرود: «كلا، شكراً.» ولكن، لما لم تجد شيئاً منها في حقيبتها، غيرت رأيها، فقالت بحدة: «نعم.»

قال برقة وهو يقدم اليها حفنة من قطع النقد الفضية: «لن تصل أية سيارة قبل عشر دقائق. لماذا تعارضين أن أوصلك بسيارتي؟»

رفضت أن تبادله نظراته. وهي تختار قطعة العشرة بنسات، ثم طلبت بغضب رقم مركز التاكسي في الهاتف.

كان الهاتف يرن في أذنها: «مركز التاكسي، أية خدمة؟»

قالت جو متجاهلة الرجل الواقف إلى جانبها: «أريد سيارة إلى مطعم جورج بأسرع وقت ممكن.»

قالت الفتاة: «إننا مشغولون قليلاً الآن، ولا يمكننا تأمين ذلك قبل عشرين دقيقة.»

هتفت هي: «عشرون دقيقة؟»

تناول كلاي السماعة من يدها وقال: «لا ضرورة لذلك.

شكراً.» ثم وضع السماعة قائلاً لها: «لا يمكنني أن أجعلك تتأخرين عن العمل، خاصة بالنسبة إلى وقتك في مواعيدك. واعدك بأن تكوني آمنة معي، فلا تخافي.»

قبل أن تقول شيئاً، كان قد فتح الباب مسرعاً بها نحو السيارة. جلست جو على المقعد الجلدي وهي تشعر بصعوبة في تنفسها.

كانت دوماً متمالكة الأعصاب في العمل ماعدا أثناء زيارة مدير المشاريع. ولكنها لا تدري لماذا فقدت سيطرتها على اعصابها عندما دخل كلاي تاكيراي مكتبها. ان كلمة (آمنة) غير صحيحة أبداً، ذلك أنه كان رجلاً مزعجاً لدرجة خطيرة.

لم يدر بينهما أي حديث وهما يخترقان الطريق الريفي. شعرت جو بالارتياح اخيراً، وهي ترى أعمال البناء تلوح لها من بعيد. ودخل كلاي إلى الساحة ثم توقف.

حاولت أن تهرب، ولكنه كان أسرع منها إذ قبض على يدها التي كانت تفك الحزام، ووضعها على صدره فشعرت بضربات قلبه الرتيبة وهو يقول لها: «والآن، عليك أن تقرري، يا جو غرانت.»

حدقت جو به وهي تقول: «ولكنك وعدت.»

قال متحدياً بلطف: «هل فعلت أنا ذلك؟ انني أذكر قولي لك وهو إنك ستكونين آمنة. ولكنني لم أحدد من أي شيء سأجعلك آمنة.»

كيف يمكن لهاتين العينين المتسعتين ببراءة، أن تخفيا كل هذه المراوغة؟ وقالت ساخطة: «في هذه الحالة، سأنهي الأمر معك، إذا كان ذلك لا يشكل لديك أي فرق.»

تجاهلت حقيقة وجودهما حيث العمال يراقبونهما، اغمضت عينيها وانتظرت أن يقبلها. ولكن ضحكة خفيفة منه جعلتها تفتح عينيها. وكان كلاي يهز رأسه وهو يميل ليفتح لها باب السيارة. وبقيت هي لحظة دون حراك وقد ساورها الارتباك تماماً. وقال: «حسناً، هل ستبقين جالسة هنا طيلة بعد الظهر؟ كنت اظنك في عجلة من أمرك؟»

أجابت وهي تحاول جمع شتات نفسها: «نعم. أشكرك مرة اخرى على الغداء.»

ترجلت من السيارة، ثم اسرعت في اتجاه مكتبها، رافضة ان تستسلم للدافع الذي كان يغريها بالنظر إلى الخلف.

لم يتصل هاتفياً بها إلا يوم الخميس، وكان قد مضى اسبوع بأكمله.

عندما سمعت صوته الخفيض يقول: «جوانا.» توقف قلبها عن الخفقان.

قالت بمثل لهجته: «كلاي؟» ولكنها اعترفت، بأسى، أن الرجل يعرف جيداً كيف يلعب لعبته. لقد امضت طيلة الأسبوع على احر من الجمر، وهي تتوقع، كل لحظة، أن تراه يدخل إلى ساحة البناء. وكان قلبها يقفز كلما وقعت انظارها على سيارة رمادية، ولكنه لم يأت، فأخذت تشتم نفسها وتنعتها بكل انواع الحماقات لرفضها دعوته إلى العشاء، لتعود فتنعت نفسها بشتى الحماقات لرغبتها في التورط معه، ذلك أنه كان بعيداً عن منالها تماماً. إذ لا خبرة لديها في التصرف مع رجل كهذا.

قال لها: «كيف حالك، يا جوانا؟» وأمكنها أن تتصور النظرة الفكهة في عينيه تلك.

أجابت هي: «انني بخير، شكراً. وأنت؟ هل تستمتع بإجازتك؟»

أجاب: «ليس كثيراً، فقد كنت في ميدلاند طيلة الأسبوع في عمل. ولكن يمكنك أن تنسيني مشقة كل ذلك. انني ادعوك إلى العشاء هذه الليلة.»

قالت متجنبة الرد: «لماذا أنا؟ هل تزوجت جميع صديقاتك القديمات أثناء غيابك؟» لم تكن تريد أن تظهر تشوقها البالغ لهذه الدعوة.

ضحك قائلاً: «معظمهن. فقد مضى على ذلك سبع سنوات تقريباً. هل ستأتين؟»

دار صراع في نفسها بين رغبتها وعقلها، لتتغلب الرغبة أخيراً بقولها: «بكل سرور.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

كان الوقت متأخراً، عندما أوقفت جو سيارتها وراء المنزل القديم قرب سوق المدينة، وود هيرست ودخلت إلى الشقة الواقعة في الطابق الأول والتي استأجرتها أثناء مدة العمل، ثم ألقت بمشترياتها على مائدة المطبخ.

لم تضيع وقتاً طويلاً في الحمام، ثم جففت بسرعة شعرها الكثيف الأشقر الغامق، ذا التموجات الفاتحة لكثرة بقائها خارج المنزل. لقد سبق وتساءلت، في ما مضى، كيف تبدو إن جعّدت شعرها مثلما تفعل شقيقتها. ولكنها ما لبثت أن اقتنعت بأن هذه الأشياء ليست لها، فقد كان أنفها بارزاً قليلاً، وفمها أكبر مما ينبغي، وقد أخبرها الحلاق بلطف، وكانت في الرابعة عشرة من عمرها حين جاءت إليه ليصلح النتيجة الفظيعة لمحاولة أختها هيثر أن تجعد لها شعرها في المنزل، بأن تجعيد الشعر هو فقط لتلك الفتيات اللاتي ليس في ملامحهن صفات مميزة، ولكنها لم تصدقه عند ذاك. ولكنها الآن تطلب طرازاً لشعرها هو أكثر من مجرد قصة كل ثلاثة أسابيع لتحتفظ بمظهره الحسن.

عندما رضيت عن مظهر شعرها، أمضت وقتاً أطول من المعتاد في التبرج وصبغ أظافرها بلون وردي فاتح، ذلك أنها قررت أن تكون هذه الليلة جوانا غرانت. أما جو، مهندسة البناء، فيمكنها أن تتوارى هذه الليلة.

كانت ملابس المساء عندها قليلة، ولكنها لم تتردد

طويلاً، فارتدت تنورة واسعة من الجورجيت ذات لون رمادي فاتح، فوقها بلوزة بكمين طويلين وألوان رمادية ووردية مع لمسات فضية. ووضعت في أذنيها قرطين ورديين بأسلاك فضية، ثم تأملت نفسها راضية عن مظهرها. وفكرت بشيء من التسلية، ربما تصادف بعض زملائها هذه الليلة، وسيكون من الصعب عليهم تمييزها بهذا المظهر الجديد عليهم.

انتعلت حذاءاً رمادياً منخفض الكعب. وكانت تدور حول نفسها أمام المرآة عندما تصاعد رنين جرس الباب. وقفت لحظة وقد شعرت بالضعف وعدم الثقة بنفسها، ثم، خوفاً من أن يسأم من الانتظار، أسرعت تفتح الباب.

كان كلاي، بقامته الفارعة، ومظهره البالغ الأناقة في سترته السوداء، متكئاً على حاجز السلم ينظر إلى مقدمة حذائه، وارتفعت عيناه عندما فتح الباب وابتسم، محدقاً في تلك الفتاة الواقفة عند الباب.

سألته جو أخيراً لتخترق الصمت: «هل هذه الأزهار لأجلي؟»

انحدرت أنظاره إلى أزهار وردية وكأنه لا يستطيع التذكر من أين أتى بها، ثم عاد ينظر إليها وقال: «أظن أنها لأجلك.»

قالت: «ادخل، سأضعها في الماء. أتريد أن تشرب شيئاً؟» سألته ذلك وهي تحاول أن تتذكر ما الذي فعلته بزجاجة شراب ما زالت عندها منذ عشية الميلاد.

تبعها إلى المطبخ وهو يقول: «كلا، شكراً.» وأخذ يراقبها وهي تضع الأزهار في وعاء عميق مملوء بالماء.

استدارت إليه تقول: «ما أجملها من أزهار. شكراً يا كلاي.»

تقدم نحوها خطوة وهو يقول: «هذه أنت الآن، يا جوانا، ولن يخطىء أحد أبداً فيظنك فتى هذه الليلة.»

ثم ابتعد عنها قائلاً: «حسناً. فلنخرج.»

«إلى أين نحن ذاهبان؟»

«إلى مكان صغير أعرفه قرب النهر.» كان وصفه هذا يقلل من شأن ذلك المطعم الجميل المطل على النهر، وأخبرته برأيها هذا عندما جلسا هناك. قال وقد بدا عليه الذهول: «ظننت أنه ربما يعجبك الحضور إلى هنا.»

قالت: «إنه رائع الجمال.»

استدار ينظر إليها قائلاً: «نعم. إنه كذلك.» ورفع يده يلامس وجنتها الناعمة وهو يقول: «جميل تماماً.»

جاءهما صوت النادل: «هل تتفضلان بالحضور إلى مائدتكما يا سيدي؟»

أعاد هذا الصوت كلاي إلى واقعه، فتابط ذراع جوانا، ليسير بها مجتازاً قاعة المطعم جاعلين رؤوساً عديدة تستدير لتنظر إليهما. كانت جوانا، في العادة، تضطر إلى اخفاء طولها حين تسير مع رجل ما، فهي لا تنتعل مطلقاً كعباً عالياً. وكان عليها، على الأقل أن تتراخى في وقفتها، حسب قول أبيها، والآن وهي بجانب قوام كلاي القوي حيث قمة رأسها تصل إلى أذنه، كانت تمد قامتها بحرية شاعرة بالسرور لإدراكها أنها محسودة من نصف الحاضرات، إن لم يكن أكثر.

في ما بعد، لم تستطع أن تتذكر حتى نوع الطعام الذي

تناولته ولا الحديث الذي تبادلاه. كل ما تذكره هو حديثه عن شيء يتعلق بدائرة استشارية بدأها في كندا وخطته لتوسيعها إلى بريطانيا، ثم وجه كلاي في ضوء الشموع، ثم يده تمسك بيدها على المائدة، ثم كلماته وهو يقول: «فلنذهب.»

جلست في مقعدها في السيارة، متكوّرة إلى جانبه وكأنها تعرفه منذ سنين، وامتدت ذراعه تدنيها منه، وبدا ذلك طبيعياً تماماً فلم تتردد في أن تريح رأسها على كتفه. ولم تفكر بالمكان الذي كانا ذاهبين إليه، ولم تهتم ما دام هو معها. وتوقفت السيارة، ورفعت رأسها متسائلة: «أين نحن؟»

«أنت في منزلك، يا سيدتي الجميلة، أين تتوقعين أن تكوني إذاً؟»

أخفى الظلام احمرار وجهها، ثم دعته أن يساعدها في الترجل من السيارة.

«سأوصلك إلى الباب.»

في أعلى السلم، استدارت إليه تسأله: «أتريد فنجاناً من القهوة؟»

كانت ذراعه حول خصرها وهو يقول: «أظن يكفيني الإزعاج الذي سألاقيه أثناء النوم، يا جو.» كانت تتمنى لو أنه لا يتركها. وكأنما كان يقرأ أفكارها، جذبها نحوه لترتمي بين ذراعيه.

عندما تركها أخيراً، بالكاد استطاعت الوقوف على ساقيها، فوضع ذراعيه حولها يسندها بينما وضعت رأسها على كتفه.

«يجب أن أذهب.»

«أيجب عليك ذلك حقاً؟»

قال: «لا تجعلي الأمر صعباً عليّ.» قبل جبينها، فرفعت ناظريها إليه، ولكنه بدا شارد الذهن بعيداً عنها، وفتشت في حقيبتها عن مفتاحها ليأخذه ويفتح الباب.

سألها: «هل يمكنني رؤيتك غداً؟»

ترددت لحظة، ولكنه، عندما ابتسم أومأت برأسها هامسة: «نعم.»

رفع يده قائلاً باختصار: «سآتي عند الساعة السابعة.» ثم ذهب دون أن يلتفت إلى الوراء.

تساءلت جو وهي تقف تحت الدوش، عما كانت تفكر فيه بالضبط قبل ظهور كلاي تاكيراي في حياتها، ما دام ظهوره منذ أسبوع فقط كان كافياً ليملأ نهارها وجزءاً من ليلها.

قطع هذه الأفكار، قرع جرس الباب، فوضعت على جسدها معطف الحمام ثم خرجت لترى من القادم.

هتفت: «كلاي.»

قال معتذراً: «جئت مبكراً قليلاً.»

ضحكت وعيناها تتراقصان قائلة: «قليلاً فقط؟ ظننت أن لقاءنا الساعة السابعة مساء وليس السابعة صباحاً.»

قال: «لقد شعرت برغبة مفاجئة في أن أرى كيف يكون شكلك في الصباح.»

شدت معطفها حول جسدها وهي تقول: «حسناً؟»

«كما توقعت تماماً أن أراك، الوجه خالٍ من الزينة، القدمان حافيتان، الشعر مبلل... وجميلة تماماً.»

دخل مغلقاً الباب خلفه.

ضحكت بعصبية وتراجعت إلى الخلف، وهي تقول: «مديحك في مثل هذا الصباح الباكر، تستحق عليه مكافأة. هل تريد أن تتناول الفطور؟»

بخطوة واحدة، كان يقف بجانبها يضع ذراعاً حول خصرها ويجذبها نحوه قائلاً: «إن هذا، يا جوانا الحلوة، يعتمد على نوع الفطور الذي لديك.»

سألته: «بيض؟» لم يجب، فعادت تقول: «لدي بعض الجبن! وخبز وزبدة؟» وتابعت بيأس: «ليس عندي وقت كاف، عليّ أن أستعد للذهاب إلى عملي...»

انحنى نحوها هامساً: «أنت يا جو... ألم تدركي أنني أريدك أنت فطوراً لي؟»

هنا، تصاعد رنين جرس الباب عالياً مما جعلها تقفز من مكانها بينما انتصب هو واقفاً وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية، وهو يقول: «لقد أنقذك الجرس، يا جو.»

توجهت نحو الباب تفتحه، لتجد ساعي البريد يحمل في يده رسالة وهو يقول: «انني آسف، يا آنسة غرانت. إنها رسالة مسجلة أخرى تستدعي توقيعك.»

في هذه المرة، لم تكلف نفسها عناء فتح الرسالة بل ألقت بها على طاولة في القاعة.

سألها كلاي: «ألن تفتحي الرسالة؟ يبدو أنها مستعجلة؟»

أجابت: «انني أعرف ممن هي. إنها من شخص ما يريد أن يشتري أسهمي التي ورثتها. وقد سبق وأخبرتهم انني لن أبيع.»

قال: «لعلهم رفعوا قيمة المبلغ في هذه الرسالة.»

قطبت جبينها قائلة: «أتظن هذا؟ انني أعجب للسبب الذي

يدعوهم إلى الشراء؟» وتعلقت عيناها لحظة على المغلف ثم استطردت: «ربما يجب أن أعرف السبب.»

قال: «انسي هذا، ان ذلك غير مهم.» ورفعت عينيها إليه فتلاشى من ذهنها كل ما يتعلق بميراثها.

أخيراً قالت: «علي أن أستعد للذهاب إلى عملي، يا كلاي.»

توقف برهة مقطباً حاجبيه، ثم هز كتفيه قائلاً: «طبعاً عليك ذلك، بينما أنا أعيقك عن الاستعداد.» ومشى نحو الباب يمسك بقبضته بشدة وكأنه يفكر في شيء. وعندما عاد ينظر إليها، كان العزم مرتسماً على ملامحه وهو يقول: «أرى أن نتناول العشاء في الكوخ هذه الليلة.»

كانت نظراته غامضة وهو يقول ذلك، ولكن لم يكن هناك وقت للتفكير فأجابت بصوت لا يكاد يسمع: «هذا جميل جداً.»

بعد خروجه، وقفت في القاعة لحظة طويلة تحاول تمالك مشاعرها، ثم استدارت تستعد للذهاب إلى عملها. فوقعت عيناها على الرسالة، مدت يدها تتناولها ثم مزقت غلافها بنفاد صبر. لقد كان الحق مع كلاي فقد ارتفع المبلغ المعروض. وتفجر سرور لا معنى له في نفسها وهي تلمس صحة توقعاته.

وصل كلاي عند الساعة السابعة تماماً، وأخذ من يدها الحقيبة الجلدية. ثم أقفلت الباب خلفهما وفتحت حقيبتها لتضع فيه المفتاح، وهنا رفعت ناظريها لتراه يراقبها، سألها: «هل أحضرت كل شيء؟»

أجابت: «نعم. شكراً.» وشعرت بوجنتيها تلتهبان وهي تتبعه نحو السيارة.

كان الكوخ قديماً جداً ورائع الجمال، مبنياً من القرميد. وكانت الحديقة مهملة، ولكن العمل كان قد ابتدأ في تهيئة الأحجار لعمل ممرات وإصلاح بيت الحمائم المهدم.

ساعدها على الترجل من السيارة، وقفت تنظر قائلة: «إنه جميل.»

قال: «انني مسرور لأنه أعجبك، ادخلي وانظري ما الذي فعلته في الداخل.» خفق قلبها وهو يقودها نحو الكوخ ويفتح الباب، ثم أفسح لها مجال الدخول إلى القاعة.

كانت أرضية المكان قد جدّدت ولمعت وفرشت بسجادة فارسية ملونة.

سألها: «هل تشعرين بالجوع؟»

هزت رأسها نفياً وهي تقول: «ليس تماماً، أيمكن أن تريني أنحاء المكان؟»

قال ضاحكاً: «الجولة الكبرى؟ إنها لن تأخذ وقتاً طويلاً.»

ازداد احمرار وجهها، وكانت في حاجة إلى بعض الوقت لتتمالك نفسها، كان من الأفضل لو ذهبا أولاً، إلى مكان آخر.

قال فجأة: «هذا هو المكتب.» وفتح باباً إلى اليسار وقادها إلى غرفة مربعة تكومت على أرضها بعض اوراق الجدارن. وتابع: «كنت أرى أي نوع من الورق أكثر ملاءمة.» والتقط عدة قصاصات ووضعها على الجدار، وأخيراً، قالت هي مشيرة إلى احداها: «لقد أعجبتني هذه.»

قال: «إذاً، استقر الرأي عليها.»

نظرت حولها ثم قالت: «ولكن... الرأي رأيك.»

www.elromancia.com

قال: «نعم، أعرف ذلك.» وأمسك بالباب لتمر منه. وعندما مرا بأبواب مغلقة، قال دون اهتمام: «وهذه غرفتا المخزن والمعاطف، وهذه غرفة الصباح.»

قالت: «إنه كوخ عالي المستوى.» وأبدت اعجابها باللونين الأبيض والأصفر اللذين يعكسان أشعة شمس الصباح، ثم عبرت الغرفة إلى باب آخر ففتحته وخرجت إلى الحديقة، وهي تهتف: «إنك عند النهر. انني لم أدرك هذا.» ثم نزلت مسرعة إلى فسحة صغيرة معشوشبة يتوسطها حوض صغير.

قال: «هنالك مرسى للزورق خلف تلك الشجيرات، ولكن السقف متهدم.»

سألته: «هل ستعيد بناءه؟»

أجاب: «ربما. أتظنين ان المكان دافىء إلى درجة كافية لكي نتناول فيه عشاءنا؟»

قالت: «آه، نعم. لدي كنزة في حقيبتي.»

قال: «اذهبي لاحضارها ريثما أحضّر الطعام.»

قالت: «ولكنك لم تكمل الطواف بي في المكان.» ثم تمنت لو لم تتفوه بكلمة، إذ قال: «أمامنا المساء بطوله فلا تكوني لجوجة يا جوانا، أعدك بأنني سأريك كل شيء.»

وقفت برهة في القاعة وهي تجاهد في استرداد أنفاسها. من الحماقة أن تشعر بهذه العصبية والانفعال وهي في الرابعة والعشرين.

دخلت غرفة المعاطف حيث وجدت حوضاً غسلت فيه وجهها بالماء البارد. وبدت لها عيناها بضعف حجمهما في المرآة كما كان لونهما قاتماً بشكل غير طبيعي.

كان قد فرش قطعة قماش تحت شجرة صفصاف تحجبهما فروعها المتدلية عن أعين الفضوليين في الزوارق المارة في النهر.

قال وهي تجلس على البساط إلى جانبه: «لقد قامت السيدة جونسون بعملها بشكل رائع.»

قالت متسائلة: «السيدة جونسون؟»

أجاب: «نعم. إنها تطبخ وتنظف وترعاني كما ترعى الأم أطفالها.»

فكرت جو في تلك المرأة التي تطبخ له ولصديقاته، وتساءلت كم من المرات فعلت ذلك.

ناولها كأس شراب، وهو يقول: «نخب الحب...»

قالت متسائلة: «الحب...؟»

قال: «اجلسي الآن وتذوقي طعامي.»

سألها: «كيف حال تشارلز ريدموند هذه الأيام؟»

قطبت جبينها قائلة: «تشارلز؟ لعلك تعرفه. إنه يتماثل للشفاء.»

قال: «أتظنين أنه قد يتقاعد؟»

أجابت: «أشك في ذلك لأن الشركة هي حياته.» كانت مسرورة بالحديث عن الأمور العادية، ولم تقف لتفكر في أن شؤون رئيسها في العمل هي موضوع شاذ يتحدثان فيه. ثم ابتدأت تستمتع بالطعام في النهاية بينما كانت شمس أيار - مايو، تغيب شيئاً فشيئاً وراء الأشجار، ثم هبطت درجة الحرارة فجأة.

وضع يده حول وسطها وهو يقودها إلى الداخل قائلاً: «هيا، لقد أبقيتك في الخارج مدة طويلة حتى أصبحت

www.elromancia.com

ترتجفين من البرد، ادخلي من هنا.» ودخل معها من باب إلى اليمين ثم أضاء النور في غرفة الجلوس. كانت الأرض مفروشة بسجادة سميكة زرقاء بينما كانت أريكة كبيرة مريحة قائمة أمام الموقد، وخلفها كنبة من طراز القرن الثامن عشر، وبجانبها كرسي هزاز منجد بالجلد، وانحنى يوقد المدفأة وهو يقول: «ادفئي نفسك ريثما أغيب عنك لحظة.»

وقفت أمام المدفأة الكبيرة المبنية من القرميد، تراقب اللهب المتراقص وهي تتساءل بعصبية مفاجئة، عما إذا كانت قد تصرفت بحماقة مطلقة. إن لها من وظيفتها ومهنتها ما يبقيها راضية قانعة. ولكن، ها هي الآن أمام خطر الوقوع في نفس الشرك.

جاءها صوته يعيدها إلى واقعها: «جوانا؟» وأدركت، حينذاك، وهي تقف إلى جانبه أمام الموقد، لماذا يرتكب الناس الحماقات.

نظر في عينيها، وتملكها شعور بما كانت تتوقع هز أعصابها. وفجأة، أخذت ترتجف. وسرعان ما وجدت نفسها بين ذراعيه وهو يهمس: «إنني أريدك، يا جوانا غرانت.»

مدت يدها تدفعه عنها قائلة: «كلاي... يجب أن تعلم انني... من الأفضل أن أخبرك أنني لم أعرف قط رجلاً قبلك...»

هتف مقطباً جبينه: «لم تعرفي ماذا؟»

نظرت إليه بيأس: «أردتك فقط أن تعلم انني...» وتنحنحت ثم تابعت: «انني لم...» لماذا تجد صعوبة في

نطق هذه الكلمات؟ ولكن، لا بد أن عليه أن يفهم الآن ماذا تريد أن تقول.

كان يحدق فيها مقطباً ما بين عينيه، ليقول أخيراً: «هل تريدين أن تقولي انك لم تعرفي احداً من قبل، رغم انك في الرابعة والعشرين؟» فأومأت برأسها وقد سادت ملامحها الارتباك.»

وضعها على الأريكة، ثم انتصب واقفاً وهو يقول: «لم أكن أتوقع هذا.»

واجهته شاحبة الوجه قائلة: «هل يمكنني أن أتصل هاتفياً لاطلب سيارة اجرة؟ من الأفضل أن أعود إلى البيت.»

قال بصوت بان فيه الأسف البالغ: «انني آسف يا جوانا.»

«ليس من الضروري الحديث عن كل هذا، يا كلاي.»

كان عليها أن تعلم انه معتاد على النساء الخبيرات في كيفية معاملة الرجل. لماذا فكرت في أنه قد يهتم بها؟

هرعت إلى غرفة المعاطف التي كانت ككل الغرف الأخرى، تعمها الفوضى ورائحة الدهان. كانت التركيبات الكهربائية وغيرها كلها جديدة ولكن أحجار القرميد كانت كلها ما تزال في صناديقها مرصوفة بجانب الجدران وكانت الأرض عارية. لقد انتقل إلى المنزل منذ مدة قريبة، إذ سبق وقال انه يسكن في خيمة بالقرب من الكوخ.

نظرت إلى نفسها في المرآة لترى وجهها المتضرج. تنهدت وفتحت حقيبتها تعيد تنظيم زينتها.

عندما خرجت، وجدت كلاي في انتظارها، فعبر القاعة بسرعة ليمسك بيدها، ولكنها تجنبت أن تدعه يلمسها وهي تسأله: «أيوجد هنا هاتف؟»

www.elromancia.com

قال: «ليس من الضروري أن تذهبي يا جوانا، هل نستطيع أن نتبادل الحديث؟»

قالت: «الحديث؟» ما الذي عندهما ليتحدثا عنه؟ واستدارت مبتعدة عنه، رافعة رأسها بكبرياء، قبل أن يتملكها الضعف، وهي تقول: «أفضل أن تستدعي سيارة لأجلي.»

قال: «تباً للسيارة.» وحاول أن يقترب منها.

سألته قائلة: «الآن، يا كلاي؟» كانت تخشى إن لمسها، أن تفقد سيطرتها على نفسها وتنفجر بالبكاء.

سيطر عليه التوتر لحظة، فنفرت عضلات رقبته وتقبضت يداه. ثم، وكأنه صمم على شيء أومأ برأسه قليلاً وهو يقول: «ربما معك الحق. لم يعد ثمة وقت الآن. سأصطحبك بنفسي.»

قالت: «لا حاجة لأن تزعج نفسك.»

«هناك كل الحاجة، يا جوانا، فلا تجادليني.»

لم تستمر في الاعتراض إذ شعرت أن ذلك لا معنى له، ولكنها نفضت يده عن ذراعها عندما حاول إمساكها اثر تعثرها في الممر غير الممهد، في الظلام.

أصرّ على توصيلها إلى باب بيتها. فتحت الباب ثم استدارت إليه جاهدة لكي ترسم على شفتيها ابتسامة وهي تقول: «وداعاً يا كلاي.» ومدت إليه يدها، فقد أصبحت آمنة الآن، وكانت الرصانة تكسو ملامحه، فأخذ يدها يمسكها بيده لحظة وكأنه يهم بأن يقول شيئاً، ولكنه لم يفعل بل رفعها ومررها على شفتيه.

قبل أن تستفيق من دهشتها، كان قد استدار هابطاً السلم،

وركضت هي إلى النافذة في الوقت الذي كان يصفق فيه باب السيارة بعنف، ولكن السيارة بقيت واقفة مدة طويلة جعلتها تعتقد انه سيعود فيخرج منها، ولكن، ما لبثت السيارة أن انطلقت بكل هدوء، لتتوارى في الشارع.

كان يوم الاثنين، يوماً سيئاً للعمل. أمضت عطلة نهاية الأسبوع مع أختها متجنبة التفكير في شيء، وللمرة الأولى تذمرت من ساعات العمل الطويلة في عمل لا يلائمها. لقد جعلت من نفسها حمقاء تماماً بالنسبة إلى كلاي تاكيراي وعليها أن تعيش ذكرى مذلتها تلك مدة طويلة. ولكن، من الأفضل أن تهمل التفكير في ذلك.

غاص قلبها بين ضلوعها وهي تسمع صوتاً يفاجئها قائلاً: «صباح الخير يا جو.» ذلك ان زيارة من المدير كانت آخر شيء توده ذلك الصباح.

التفتت إلى ذلك الشخص المتكلف الأناقة، ثم تكلفت ابتسامة وهي تقول: «مرحباً يا بيتر، لم نتوقع عودتك قبل الغد. هل استمتعت بإجازتك؟»

أجاب: «كانت رائعة، شكراً لك. لقد كانت رحلة ممتعة إلى الجزر اليونانية في شهر أيار ـ مايو. كان يجب أن تأتي معي.»

لم يكن يتحدث عابساً تماماً، ولكنه كان يخفي استياءه من كونه يعمل مع امرأة في مركزه هذا، متظاهراً بالغزل.

هزت كتفيها متنهدة: «لا بد أن يبقى من يرعى العمل. وأنا متأكدة أن صحبة زوجتك هي تعويض كاف. هل تريدني أن أقوم بجولة معك؟»

أجاب: «كلا، فالوقت اقترب من موعد الغداء، لقد جئت

فقط لآخذكم جميعاً إلى الكافيتريا لتناول المرطبات كشكر لكم لاجتهادكم في العمل أثناء غيابي. وسأوصلك معي.»
وأمسكها بذراعها يقودها نحو سيارته.

جاهدت جو في أن تمنع نفسها من الصراخ، ليس لأنه قام بشيء يستوجب الشكوى، ولكن من وضعية يده على ظهرها بشكل يسيء إلى سمعتها، وكأنه يملكها وفي كل مرة يكون هناك من يراهما، مما يعطي انطباعاً بأنها تخصه.

توجهت جو نحو مائدة قرب المدفأة، ولكنه قادها نحو زاوية منعزلة قائلاً: «سيعلو الضجيج هناك عندما يمتلىء المكان.»

سكتت حانقة بينما توجه ليحضر الشراب. لم يكن يبدو عليه الاهتمام بها وإلا لكان عليها على الأقل، أن تظهر الشكر والعرفان، ولكنه كان يريد فقط أن يفهم الناس أنها مفتونة به.

سألها قائلاً: «والآن، أخبريني يا عزيزتي عن كل ما حدث أثناء غيابي، هل كان ثمة مشكلات؟»

ابتسمت قائلة: «لا شيء مهماً، كان في إمكانك أن تبقى اسبوعاً آخر في اليونان.»

مال نحوها واضعاً يده على يدها قائلاً: «ما كنت لأستطيع البقاء كل هذا الوقت بعيداً عنك.»

شعرت بالارتياح وهي ترى الباب يفتح في الزاوية، لا بد أنهم رجال قادمون من البناية. ولكن القادم كان كلاي تاكيراي حيث وقف يسد الباب، جامداً ينظر إلى المشهد الذي كان يضمهما معاً. وتقابلت أنظارهما لحظة، ثم تقدم كلاي خطوة إلى الأمام وقد ظهر الغضب على وجهه.

بشكل متعمد تماماً، استدارت جو نحو بيتر، وابتسمت في عينيه اللتين بان فيهما الفزع، وهي تقول: «انني مسرورة، فقد اشتقت إليك، يا عزيزي.»

مالت إلى الأمام ثم قبلته بخفة على فمه ولا بد أن ردة الفعل عنده كانت مضحكة. لم تدرِ قفزة أي منهما كانت أكثر عنفاً، هل هو بيتر الذي قفز واقفاً على قدميه دهشة، أم هي التي قفزت ذعراً لصفقة الباب العنيفة خلف كلاي تاكيراي؟

كان الوقت متأخراً، عندما عادت جو إلى البيت. وكانت الحقيقة أنها لم تشأ العودة إلى شقتها الخالية. ذلك أنها، أثناء العمل، كان لديها ما يشغلها عن التفكير على الأقل، وفي النهاية، ابتدأت صور الأشياء تتراقص أمام عينيها، وخشيت أن تسقط على مكتبها نائمة. وأوقفت سيارتها الميني الفضية، في موقفها، ثم صعدت السلم بهدوء.

كانت قريبة من أعلى السلم، عندما انتبهت إلى شيء يسد طريقها، فبقيت لحظة تحدّق في تلك الساقين الطويلتين اللتين تسدان عليها الطريق، دون أن تفهم شيئاً.

ارتفع صوت كلاي يقول متهماً: «لقد تأخرت، والساعة الآن التاسعة مساء.»

نظرت إلى ساعتها فقط لكي تحوّل وجهها عنه فلا يرى لمحة السرور في ملامحها لرؤيته، وقالت: «لقد تأخرت في عملي.»

قال وقد توترت عضلات فكه: «لقد رأيتك تعملين في وقت الغداء، من يكون ذلك الرجل؟»

لقد فات وقت الندم على حماقتها. فقد كان تصرفها بالغ السوء في الحقيقة، جعلها تتوقع أن يجعلها بيتر تدفع ثمن

موقفها ذاك غالياً، عندما يتجاوز الصدمة ولكن الوقت لم يفت على استعادة شيء من احترامها لنفسها.

سألته: «ماذا حدث يا كلاي؟ هل غيرت رأيك؟»

وقف قائلاً: «ليس هذا المكان الذي يدور فيه مثل هذا الحديث.»

قالت: «هذا هو المكان الوحيد الذي عليك أن تدلي فيه بأي حديث، لأن عندي...» وأشاحت بوجهها كي لا يرى الكذب في عينيها.

اقترب منها يأخذ وجهها بين راحتيه وهو يقول: «هل أنت حقاً متقلبة بهذا الشكل؟» اضطرت إلى النظر إليه. فعاد يسألها: «من هو ذلك الرجل؟» ونظرت إليه لحظة، ثائرة تتحداه أن يحملها على الكلام، وازداد هو اقتراباً منها مردداً: «من هو يا جوانا؟» كان يتحدث ببطء وهدوء يتناقضان مع التحدي الصارخ في عينيه.

قالت: «إنه بيتر لويد مدير المشاريع.» ازداد توتر فكه، وأغمضت هي عينيها، متابعة: «لقد وصل لتوه عائداً من عطلته.»

«لقد بدا عليك السرور البالغ برؤيته.»

«أحقاً كنت كذلك، يا كلاي؟»

قال: «ربما؟» وتركها فجأة، لتتأرجح على قدميها، ثم تابع: «إنه لم يبق هناك طويلاً، أم لعله سيعود إليك الليلة؟»

اتسعت عيناها دهشة وهي تقول: «هل بقيت لكي تتجسس عليّ؟» ثم لمع الغضب فيهما وهي تتابع: «كان يجب أن تبقى مدة أطول لكي ترى إن كان سيعود.»

تراجع خطوة إلى الوراء قائلاً: «كلا، كلا، أنا لم أفعل

ذلك، لقد كنت غاضباً جداً فلم أثق بقدرتي على قيادة السيارة. فجلست في السيارة في الموقف مدة، وهذا كل شيء، فرأيته يترك المكان. وبعد ذلك بمدة قصيرة، عدتم جميعاً إلى العمل في البناء.»

«انني لم ألاحظ سيارة الأوستن في الموقف.»

هز رأسه قائلاً: «كانت في حاجة إلى بعض الإصلاحات، فاستعرت سيارة من أحدهم. اسمعي يا جو. من الغباء أن نتحدث هنا، ألا يمكننا ذلك في الداخل؟»

ترددت لحظة، ثم هزت كتفيها دون اكتراث، وفتحت الباب قائلة: «ولِمَ لا؟ أنا أعلم انني سأكون في أمان بصحبتك.»

ألقت بحقيبتها على الأريكة، ثم استدارت تواجهه قائلة: «أليس كذلك؟»

www.elromancia.com

الفصل الثالث

أجاب وقد بدا وكأن حجمه يملأ غرفة الجلوس: «ربما. هل أكلت؟»

أجابت: «انني لست جائعة يا كلاي. انني متعبة فقط، وكل ما أريده هو «دوش»، ثم أذهب إلى فراشي. فقل ما تريد أن تقوله الآن، ثم اذهب.»

قال: «بل عليك أن تأكلي.» وأدارها في اتجاه غرفة نومها ثم دفعها إليها وهو يقول بحزم: «إغتسلي ريثما اعود بالطعام.»

خبطت قدمها بالأرض قائلة: «لا أريد شيئاً منك، يا كلاي.»

فقال: «بل تريدين.» وكانت يداه ما تزالان على كتفيها تضغطان عليهما بعزم وهو يتابع: «الأفضل أن تدخلي الحمام الآن قبل ان أفقد أعصابي وأنكرك بما تريدينه مني.»

فهربت إلى الحمام واقفلت الباب خلفها، ووقفت مستندة إليه وجسدها يرتجف. وهمست لنفسها: «تباً لك، يا كلاي تاكيراي.» تنفست بعمق وقد ابتدأت تتمالك اعصابها شيئاً فشيئاً. فخلعت ثيابها ووقفت تحت الدوش وهي تفكر في ماعسى ان يريده كلاي منها.

ارتدت بسرعة سروالاً بلون العاج، وهي ترتجف، وفوقه كنزة من الصوف واسعة باهتة اللون كانت يوماً لأبيها

وكانت تشعر بالراحة عندما ترتديها وهي حزينة.

ما أن فتحت باب غرفة النوم، حتى سمعت صوت المفتاح في الباب، وبرز منها كلاي حاملاً كيساً من البلاستيك وهو يقول: «لقد أخذت معي مفتاحك فأرجو أن لا يكون هذا قد ساءك.»

قالت محتجة: «كنت اظنك ستحضر شيئاً هنا، كان في استطاعتي صنع شيء من العجة أو ما أشبه.»

قال: «لقد قلت إنك متعبة. هل عندك شوكة للقلي؟»

أجابت: «كلا مع الأسف، فأنا استعمل السكين أو شوكة عادية.» وبدت على شفتيها ابتسامة. فهز رأسه قائلاً: «هذا شيء تقليدي.»

قالت بحدة: «لقد اكتشفت مؤخراً أن تخطي الروابط التقليدية ليس جيداً بالنسبة لكرامتي.»

ابتسم قائلاً: «اعدك بأن ابذل جهدي لاصلاح ذلك.»

القى مجموعة مجلات على الأرض وهو يقول بابتسامة جافة: «مجلة المهندس الجديد حتى كأنني في منزلي.»

قالت: «سأبحث لك عن عدد من مجلة فوغ النسائية إذا كان هذا يريحك أكثر.» ولكنه تجاهل قولها ذاك وابتدأ يخرج عدداً من أطباق الالمنيوم ويصفها على طاولة القهوة المغطاة بالزجاج.

قال مقترحاً: «هل ينبغي وضع صحون؟»

قالت باستياء: «هل اخبرك أحد بأن لك عقلاً مدبراً، يا كلاي تاكيراي؟»

أجاب: «ان التدبير هو ما أحسنه، يا جوانا غرانت، فالأفضل أن تعتادي على ذلك.»

www.elromancia.com

ردت بحدة: «نعم يا سيدي.» ثم أحضرت صحنين وبعض الشوك والملاعق من المطبخ. ملأ أحدهما بالطعام ثم قدمه إليها، فنظرت إلى الطعام باشمئزاز قائلة: «لا يمكنني أن آكل كل هذه الكمية.»

قال وهو يشرع في الأكل: «اقنعيني بأنك تناولت وجبة كاملة هذا النهار، وأنا اسامحك بنصف هذه الكمية.»

قالت: «لا أظنك تضع في الاعتبار كعكة حلوى مقلية.» فتوقف عن غرف الأرز إلى صحنه، لكي يناولها شوكة. ولم تعد هي إلى الاحتجاج إذ أن الأكل، على الأقل، يمنع الحديث.

عندما انتهت سألها: «اتريدين المزيد؟»

هزت رأسها قائلة: «كلا، شكراً.» ارغمت نفسها على الابتسام وهي تتابع: «كنت اكثر جوعاً مما تصورت.» ثم أخذت ترفع الأطباق إلى المطبخ، ويبدو انها وجدت من السهل عليها أن تساله وهي منشغلة، فتابعت تقول: «ربما في إمكانك الآن أن تخبرني عن سبب وجودك هنا. ما الذي تريده مني بالضبط؟»

كان قد تبعها إلى المطبخ، واجفلت عندما تكلم في أذنها قائلاً بلطف: «ربما قد غيرت رأيي، ربما لا استطيع أن انسى تلك الليلة.» ومد يده يمسك بمعصمها متابعاً: «ربما اذهلني فكرة أن اراك تقدمين نفسك إلى رجل آخر... ساورني شعور بأن بيتر لويد ليس من الغباء بحيث يرفضك. أم انك كنت معه طيلة عطلة الأسبوع؟»

حدقت جو في يده، في اصابعه القوية الملتفة حول معصمها، وقالت متجاهلة سؤاله: «هل تراني على هذا

الشكل؟ يائسة؟ القي بنفسي على أي رجل اصادفه؟ آملة أن أحظى بواحد؟» وارتجفت، وهي تقاومه بينما أخذها بين ذراعيه وهو يقول: «هل ترين نفسك بهذا الشكل؟» ورفعت ناظريها إلى عينيه، وعندما افزعها التصميم الذي رأته في ملامحه، دفنت وجهها في قميصه.

همس: «جوانا.»

قالت: «لم يكن الأمر هكذا. كل ما في الأمر هو أنني لم اصادف رجلاً من قبل...» وسكتت فأمسكها من كتفيها يبعدها عنه قائلاً: «ما هو الذي لم يكن هكذا؟»

قالت: «لقد كنت الرجل الوحيد الذي تقطعت عنده انفاسي. هذا هو كل شيء.» كانت المرة الأولى التي تشعر فيها بكل ما تصفه اغاني الحب.

سألها بلطف: «هل كان الأمر بهذه البساطة؟»

قالت: «نعم. بهذه البساطة.» ولكنها كانت تكذب، لأن الحب ليس بسيطاً أبداً. ورفعت اهدابها الطويلة لتتعانق نظراتها بنظراته ثم تابعت قائلة: «كان معك الحق حين قلت ان ذلك قد أصبح عبئاً مع انني أنا نفسي لم أدرك ذلك. كان من الممكن أن تكون الأمور اكثر بساطة لو انني كنت في السادسة عشرة وغرقت في الحب.»

ابتسمت لنفسها وهي تتابع: «كلما تقدم الانسان في السن تصبح الأمور اكثر صعوبة. إذ أنه يصبح اكثر تطلباً في الاختيار. ثم يأتي رجل يحوي كل المواصفات.» وتملصت من بين ذراعيه، فأراد أن يمسك بها، ولكنها رفعت يدها تدفعه بعيداً وهي تتابع قائلة: «رجل يملك من الخبرة ما يجعله مختلفاً عن غيره.»

www.elromancia.com

أسبلت يدها إلى جانبها وهي تهز كتفيها دون اكتراث. «انني آسفة إذ عقدت الأمور التي لا بد انك كنت تعتبرها سهلة بسيطة.»

قال بدهشة بالغة: «ولكن لا بد انك قابلت عشرات من الرجال.»

ابتسمت وقالت: «بل مئات. لقد كان اصدقائي يعتقدون أنني اخترت دراسة الهندسة لأبقى مع الرجال. ولكن الحقيقة انني في الجامعة، لم أجد وقتاً لكي اتورط بمثل تلك العلاقات، كان ثمة الكثير مما يجب علي النجاح فيه.»

قال: «وبعد تخرجك؟ هل بقي امامك الكثير مما يجب عليك النجاح فيه؟»

أجابت: «الغزل ممنوع أثناء العمل يا كلاي، خاصة إذا كان الجد مطلوباً من الانسان. ان الأمر ليس بمثل هذه السهولة.»

قال: «ذلك يبدو سهلاً جداً.» وتوقف حين رآها تبتعد عنه مسرعة إلى غرفة الجلوس حيث الصقت وجنتها بزجاج النافذة البارد وهي تنظر إلى الخارج دون أن ترى شيئاً. وقال: «انني آسف يا جو، لقد كانت النتيجة خطأ. ولكن المسألة كانت تبدو سهلة أليس كذلك؟ فهذا الشعور لم يكن من جانبك فقط، إذ انني شعرت برغبة فيك منذ رأيتك. وقد اراحني تماماً أن أعلم انك لم تمري بعد بأي تجربة. وسأخبرك بالسبب.» وجاء من خلفها يضع ذراعيه حولها ووجنته على شعرها، متابعاً قوله: «لقد كان علم الكيمياء على حق.»

سألته وهي تتنفس بصعوبة وهي تشعر بالنار تسري في عروقها: «علم الكيمياء؟»

همس في اذنها: «الرغبة من النظرة الأولى. من الأفضل إذن ان نتصرف من هذه الناحية، الا تظنين هذا؟»

الرغبة، لقد كان الأمر اكثر من هذا، حتى بالنسبة إليه. واستقرت هذه الكلمة (الرغبة) في عقلها. أم أنها تعبير ملطف عن تلك الحاجة البدائية التي ايقظها في نفسها بشكل غير متوقع؟ وارتجفت. مهما يكن الأمر، فهو يعرض عليها، وهي تريد ذلك.

سألته: «الآن؟»

أجاب: «إن عدم التأجيل هذا، فيه اطراء لي، يا حبي. ولكن ثمة بعض التفاصيل ينبغي أن نبحثها أولاً، ذلك أن يوم الجمعة يناسبني تماماً، وسيكون قد مر على تعارفنا اسبوعان، وهذا ادعى للاحترام.»

شهقت وهي تستدير بحدة لتواجهه. انها المرة الثانية التي تقدم فيها نفسها إليه. والآن، كان عليه ان يفتش عن الوقت المناسب في مفكرته.

قالت ببرود تردد كلمة التحبب التي خاطبها بها: «يوم بكامله، يا حبي؟ هل أنت متأكد من أنك ستستغني عن ذلك النهار؟

قال بصوت بارد: «اظنني استطيع أن استغني عن يوم بكامله لأجل عرسنا.»

قالت وهي تظن انها لم تسمعه جيداً: «عرسنا؟»

«حسناً. هل تقبلين طلبي الزواج منك؟»

«أي طلب؟»

«هو هذا. تزوجي مني يا جوانا غرانت.»

«ان هذا ليس طلب زواج، يا كلاي، وإنما هو أمر.»

سألها: «ألا تفضلين الزواج؟»

أجابت: «انني لا أكاد اعرفك.»

قال: «ولكنك لم تكوني تعرفينني أيضاً يوم الجمعة الماضية، ومع ذلك لم يهمك الأمر.»

احمر وجهها غضباً وقالت: «كان ذلك أمراً مختلفاً.»

قال وهو يطوقها بذراعيه ناظراً إلى وجهها: «كلا، لم يكن الأمر مختلفاً أبداً.»

مدت ذراعيها تطوقه بهما وهي تتنهد قائلة: «لا أدري في الحقيقة ماذا اقول.»

قال: «ليس ثمة ما يقال بعد الآن يا عزيزتي، فقد اجبتني وانتهى الأمر.»

تنفست بعمق وهي تهز رأسها قائلة: «انك غير مجبر على الزواج مني يا كلاي.»

قال لها بتوتر: «اعتقد انك اوضحت ذلك بما فيه الكفاية. ولكنني اجعل من هذا شرطاً.»

قالت: «ولماذا يا كلاي؟ إن الناس لا يتزوجون بسبب الرغبة.»

قال: «أحقاً؟ ولماذا يتزوجون إذاً؟»

كان ما يزال يحتضنها. وشعر بسجدها يرتجف، فابتسم وقد احس بالانتصار، وهو يقول: «انني اريدك، يا جو. وعندما رأيتك تقبلين بيتر لويد، أدركت مدى رغبتي فيك.»

قالت باحتجاج: «ولكن هذه سخافة.»

قال: «اهي كذلك؟ اقنعيني إذن.» واحتضنها بشدة شعرت معها انه لن يتركها ابداً. وكانت عيناه قاتمتين من شدة العاطفة. ثم تنفس عميقاً وهو يقول: «الجمعة؟»

أومأت برأسها دون أن تستطيع الجواب. وتمتم: «ساحرة. لو كانت عندك خبرة، لكنت خطرة.» ومرر يده على وجنتها وهو يقول: «سأمر عليك عند الساعة التاسعة والنصف صباحاً لنختار الخاتم، فلا تتأخري.»

كان اسبوعاً غير عادي، فقد اتصلت بمكان عملها لتسأل ان كان في إمكانها أن تأخذ بقية الأسبوع جزءاً من عطلتها السنوية، ولكنها لم تخبر احداً عن السبب في ذلك، لأنها كانت دوماً تحرص على ان تجعل عملها بمعزل تام عن حياتها الشخصية، ولم تجد حاجة إلى تغيير عادتها تلك لا لشيء إلا لأنها كانت مقدمة على الزواج.

اما اسرتها فقد كانت مسألة أخرى. ولكن جو نجت من العاصفة التي اثارها عدم قبول امها بهذا الزواج السريع، وهي تقول: «هذا جنون، يا جو.» ولم تكن أمها تدعوها قط باسمها جوانا، بالعكس من أبيها وأختها أحياناً. وتابعت أمها: «ماذا بالنسبة إلى مهنتك؟ طموحك؟» لقد قالت غاضبة بعد أن طلب كلاي مقابلتها رسمياً للاجتماع بها: «انني متأكدة من أنه سيجعلك حاملاً في شهر العسل حتى كأنك لم تذهبي إلى الجامعة قط.»

ابتسمت شقيقتها ابتسامة ذات معنى وهي تقول: «دعيها يا أماه وان كنت لا اختلف معك في وجهة نظرك، بوجه عام.» وقالت لأختها: «أتريدين ان اساعدك في اختيار ثوب الزفاف؟»

قبلت جو ذلك شاكرة. كانت شقيقتها هيثر، التي تكبرها بعشرة اعوام والتي كانت تعمل في محل أزياء سابقاً قد أنجبت توأميها ثم أصبحت مالكة لمتجر خاص بها. لقد

بحثت في أزياء الزفاف المختزنة من العام الماضي واختارت لجو ثلاثة اثواب احضرتها صباح الاربعاء لأختها لتقيسها.

قالت هيثر عندما اختارت جو طقماً عاجي اللون من الحرير: «هذا رائع يا حبيبتي، فليست كل امرأة في استطاعتها ان ترتدي تنورة ضيقة، ولكنك تمتازين بخصر نحيل وورکين جميلين معتدلين...» وضحكت، بينما أحمر وجه جو، وهي تتابع. «لا بد انه سبق واخبرك بذلك.» ورفعت برقة ياقة الجاكتة العريضة لتحيط وجه جو وهي تقول: «إنها ياقة رائعة. ومن حسن الحظ أن قياسك سهل. فأنت حافظت على رشاقة قوامك مدة ثلاث سنوات والتي عشت فيها وحدك، فكيف في الثلاثة أيام القادمة؟ هل ستلبسين قبعة؟ جربي هذه.» وضعت جو قبعة صغيرة، لتعود فتخلعها مباشرة قائلة:

«لا أظن ذلك، فإنني أرى القبعات لا تلائم شكل رأسي.» ضحكت هيثر وقالت: «جربي هذه على كل حال. فربما تناسبك. والآن، اغمضي عينيك.» وشدت القبعة على رأس جو بشريط حريري ثم قالت: «والآن، انظري إلى نفسك.»

فتحت جو عينيها لتفاجأ بالفتاة الغريبة التي طالعتها في المرآة. وقالت هيثر مبتسمة: «إنها جميلة أليس كذلك؟ يكفيك إخفاءً لجمالك تحت قبعة أبيك القديمة التي تخفي شعرك طول النهار. ولا شك أن كلاي رجل ماهر إذ اكتشف جمالك المخفي هذا.»

«لقد خلعتها فعلاً، يا هيثر.»

«هل اخبرك إلى أين ستذهبان في شهر العسل؟»

أحابت: «لن يكون لنا سوى عطلة نهاية الأسبوع فقط إذ أنه هنا في عمل.»

«لعله عمل هام كي يجعلكما تتخليان عن شهر العسل.»

أجابت جو: «هام جداً.» وابتسمت تلقائياً، إذ ان الحقيقة هي أنها لم يكن عندها فكرة عن نوع ذلك العمل.

قال والد كلاي لجو وهو يقبلها على خدها: «تبدين بالغة الفتنة يا عزيزتي. انني مسرور جداً إذ لم تجعليه ينتظر طويلاً.»

قالت جو: «انني... لقد كان مصمماً جداً...» واحمر وجهها. فقال الرجل المسن وهو ينظر إلى ابنه بحنان: «احقاً؟ ان من العبث مقاومته، فهو لا بد ان يحصل على ما يريد، إنني أذكر عندما...»

قال كلاي: «ليس ثمة ضرورة لذكريات الطفولة يا أبي، إذا لم يكن عندك مانع.» وأخذ بيد جو مبتعداً بها عن تلك الجماعة الصغيرة من الأقرباء والأصدقاء الذين جاءوا لحضور الزفاف، وهو يقول لها: «لم أجد فرصة لكي اخبرك كم تبدين رائعة.» وألقى نظرة على الضيوف ثم همس في أذنها: «أليس ثمة طريقة نهرب فيها من الغداء؟»

قالت تغيظه: «لماذا العجلة بينما أنت الذي كنت تصر على الانتظار؟»

قال: «حتى الآن، لا اعرف سبب ذلك.»

أخيراً انتهى الغداء، وقطعت كعكة الزفاف، وودع العروسان المهنئين. قاد كلاي السيارة في الطرق الريفية ليتحول إلى الطريق المؤدي إلى النهر حيث الكوخ. وعندما وصلا، اوقف السيارة وقد ساد الصمت أرجاء المكان.

نظر كلاي إلى عروسه باسماً: «مرحباً بك في منزلك، يا سيدة تاكيراي.»

سألته وهو يمسك بيدها يساعدها في الترجل من السيارة: «هل عندك مانع في أن احتفظ باسم اسرتي غرانت؟»

اشتدت اصابعه حول يدها وهو يسألها مقطب الجبين: «اتريدين أن تحتفظي باسمك؟ هل عندك اعتراض على اسمي؟»

قالت وهي تسدل جفنيها: «أبداً يا كلاي، فهو اسم رائع. ولكن اسمي اسهل بالنسبة للعمل. هذا إلى انني قد تزوجتك لأجل رغبتي بك وليس لأجل اسمك.» وتضرج وجهها.

فلمس وجنتها بأصابعه مفكراً: «هكذا إذاً؟» وما لبث أن هز كتفيه ثم تابط ذراعها وسارا معاً يجتازان الطريق. وفتح كلاي الباب ثم التفت اليها وعلى فمه ابتسامة خفيفة وهو يقول: «هل احملك مجتازاً بك العتبة، أم أن اعتبارك للأنوثة يستنكر ذلك، يا (آنسة غرانت)؟»

سألته: «ولماذا يفعلون ذلك؟» وسكتت فجأة وهي ترى في عينيه بريقاً خطراً وهو يقول: «لأن عادة حمل العروس لاجتياز عتبة الباب تعود إلى حين كان رجل الكهف يحمل على كتفه اقرب انثى إليه، ليسلمها إلى قرينها.»

أطلقت ضحكة قصيرة حائرة، وقالت: «ربما علينا نحن الاثنين، أن نخطو فوق العتبة لنثبت، بذلك، المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة.»

لكنه لم ينتظر أن تنهي كلامها، بل رفعها على كتفه وهو يقول: «هراء.»

احتجت ثائرة: «انزلني يا كلاي.» ولكنه لم يكلف نفسه

عناء الجواب، بل دفع الباب خلفه بقدمه، فأغلقه، ثم صعد بها السلم وهي تصيح وترفس بينما تطاير حذاؤها وقبعتها في انحاء المكان.

قال يحذرها: «انتبهي إلى عتبة الباب العليا.» ودخل بها إلى غرفة النوم ثم وضعها على السرير.

زحفت بسرعة إلى طرف السرير عندما استلقى هو بجانبها، ثم انتصبت على قدميها.

قالت وهي تتراجع إلى الخلف عندما تقدم نحوها: «كلاي، انني لن...»

قال: «لن ماذا، يا (آنسة غرانت)؟» حاصرها في الزاوية ثم انحنى فوقها قائلاً: «ألا تريدين هدية عرسك؟»

جف فمها إذ لم تتوقع منه أن يتصرف بهذا الشكل. لقد كان طيلة الأسبوع في منتهى التحفظ والحذر. ولكن، الآن، يبدو أن شيئاً مفاجئاً قد حدث. واطلقت صرخة قصيرة عندما قبض على رسغها وأداره رافعاً إياه إلى شفتيه ليقبل العروق الزرقاء الدقيقة تحت الجلد، ثم يوزع قبلات خفيفة على راحة يدها. ورفع عينيه، لترى، عندذاك، أنه كان يضحك وأن كل ذلك لم يكن سوى مزاح.

قالت برقة: «وغد.»

قال: «ليس اليوم. في ما بعد.»

انتبهت هي إلى أن ساقيها ترتجفان. وعندما رفعت يديها تدفعانه عنها، مد يده وجذبها إلى ما بين ذراعيه وهو يقول: «صدقيني أن عندي هدية لك.» وأخرج من جيبه علبة فتحها بدت فيها سلسلة مع قلب ذهبي صغير فيكتوري الطراز، وهو يقول: «كانت هذه لأمي.»

www.elromancia.com

هتفت: «إنها رائعة يا كلاي. هل لك أن تضعها حول عنقي من فضلك؟»

أخرج السلسلة من العلبة، فأدارت ظهرها حانية رأسها لكي يتمكن من تثبيت قفل السلسلة. ثم، وبصرخة انتصار، طوقها بين ذراعيه ليرفعها عالياً ثم يسير بها نحو السرير.

استيقظت جوانا، واستدارت لترى كلاي مستلقياً على جانبه يراقبها.

قال لها: «لو كنت هرة، يا جوانا، لابتدأت الآن بالمواء.»

أجابت: «لو كنت هرة، يا حبيبي، لكنت انت لامستني الآن.»

ضحك بهدوء لهذه الدعوة حين اقتربت منه لتكون بين ذراعيه. لقد بقيا يومين وثلاث ليال وحبهما في ازدياد.

قال متأسفاً: «لقد انتهى شهر العسل وعليّ أن اذهب اليوم إلى العمل يا عزيزتي، وليساعدني الحظ.»

قالت متسائلة: «العمل؟» ثم انتفضت جالسة وكأنما اصابتها صدمة وهي تهتف: «كلاي، اليوم هو الاثنين.»

قال لاوياً شفتيه: «نعم، إنه الاثنين.»

سألته: «كم الساعة؟»

«إنها السابعة. ولكن لا حاجة بك إلى ان تنهضي.»

زحفت تنزل من السرير قائلة: «سأتأخر.» قال وهو يجلس عاقداً يديه خلف رأسه: «تتأخرين؟» وأخذ ينظر إليها وهي تتنقل بين الأدراج.

«إلى أين انت ذاهبة؟ هل قررت الذهاب برحلة للتسوق مع هيثر الحلوة؟»

«لا تكن احمق يا كلاي، فأنا ذاهبة إلى العمل.» عثرت على

سروال الجينز فرفعته من الدرج وراحت تسأله: «هل هذا لي أم لك؟» واستدارت إليه لتجده هادئاً ساكناً، فهتفت به: «ماذا جرى؟»

قال: «إنني لم أدرك أنك تنوين الاسراع بالذهاب إلى العمل. ظننتك ستبقين إكراماً لي عدة ايام اخرى.»

ابتسمت له وقالت: «إبق معي وأنا انظر في هذا الأمر.»

أمسك بمعصمها قبل أن تغير رأيه وهو يقول: «آسف يا جو. لقد انذرتك.»

قالت تستدرجه: «لا بد أن عندك شيئاً خاصاً.»

قال: «سأعود بأسرع ما يمكن. اعدك بذلك. هل انت مصممة على الخروج؟»

قالت: «ليس هذا مناسباً للحياة العملية.»

قال: «أحقاً؟ ظننت أنك ستجدين في شخصي عملاً يستغرق طيلة يومك.»

«ولماذا ظننت هذا، يا كلاي؟»

قال: «لا استطيع تصور ذلك انها تخيلات، دون شك.»

قالت: «انني لا اصلح لعمل المنزل. حتى عندما كنت فتاة صغيرة، كنت احسن صنع فطيرة من الطين افضل من فطيرة اصنعها في المطبخ. فما الذي يمكنني عمله في البيت طيلة النهار؟»

نهض وبحركة واحدة كان إلى جانبها وهو يقول: «لقد تصورتك يا عزيزتي، دوماً، مرتدية المئزر، تمسحين الغبار من غرفة النوم، وتخبزين فطيرة التفاح و...»

اتسعت عيناها هلعاً وهي تقول: «كلا. انك لم تتصورني كذلك.»

www.elromancia.com

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: «ليس كذلك بالضبط، فإن السيدة جونسون تقوم بكل هذه الأعمال كأحسن ما يكون.» وكانت جو قد قابلت السيدة التي تدير شؤون الكوخ وأكدت لها أنها لن تنتزع منها دورها هذا. وفجأة، ظهر الجد على وجه كلاي وهو يقول: «ولكن حديقة المطبخ في حاجة إلى نزع الأعشاب الضارة منها.»

قالت: «أنا آسفة، إذ أنني لا اميز العشبة الضارة من زهرة الأوركيد.»

قال: «ذلك سهل يا عزيزتي، فإذا أنت انتزعتها ونمت ثانية، تكون عشبة ضارة، أما إذا انتزعتها ولم...»

أكملت قائلة: «ولم تنمِ ثانية، فهي أوركيد.»

قال: «حسناً، لقد كانت تجربة حسنة، ولكن بالنسبة إلى الزواج من امرأة عاملة فسيأخذ التعود على ذلك وقتاً.» فألقت السروال من يدها. واندفعت إليه، ولكنه أمسك بها قائلاً: «ان عندي انا ايضاً اجتماعاً مبكراً، كما أنك ستتأخرين عن عملك. تتأخرين جداً.» ثم دفعها بحزم في اتجاه الحمام وهو يقول: «لا تمكثي طويلاً يا آنسة غرانت.»

على مائدة الفطور، كانا يمثلان شخصين غريبين. كان كلاي يرتدي بذلة داكنة انيقة وقميصاً مخططاً، بينما جوانا ترتدي سروال جينز وكنزة واسعة ذات ماضٍ مجيد.

سألها: «في أية ساعة تكونين في المنزل؟» أضافت جوانا تفاحة إلى صندوق غدائها ثم فكرت قليلاً قبل أن تجيب: «علي أن انهي اخلاء شقتي. اظنني سأنتهي منها في فرصة الغداء إذ انها اصبحت فارغة تقريباً. ولكننا في حاجة إلى بعض التسوق لأن الثلاجة فارغة تقريباً.»

قال وهو يخرج محفظته من جيبه: «ستكونين في حاجة إلى بعض النقود.» وناولها بعض الأوراق المالية قائلاً: «خذي هذه الآن ريثما اخصص لك حساباً في البنك لمصروف البيت.»

قالت: «لا احتاج إلى ذلك، يا كلاي. علينا ان ندخر جزءاً من النفقات.»

لم تتغير ملامحه. وشعرت بأنها قالت شيئاً اغضبه، فعادت تقول: «اقساط مثلاً.» وأدركت حالما نطقت بتلك الكلمات، انها غير واثقة من حقيقة وجود اقساط او غير ذلك. في الواقع، سواء كان ثمة اقساط على الكوخ أم أي شيء آخر، فهذا لا يعني شيئاً بالنسبة إلى كلاي تاكيراي سوى انها تحبه دون غاية، ولكنها لم تكن تريده ان يظن انها تزوجته لكي تعيش معه على حسابه.

لاحت في عينيه ابتسامة وهو يقول: «شكراً لما تقدمينه، ياجو. ولكنني أظن ان في امكاني تأمين حياة مريحة لنا نحن الاثنين. وإلى جانب هذا، فأنت لن تبقي على الدوام فتاة عاملة، أليس كذلك؟ إذ عندما يبدأ الأطفال في التوافد، لن يكون في إمكانك المساهمة في دفع... الأقساط.»

قالت وقد شعرت بشيء من الضيق: «أطفال؟»

قال يغيظها: «انك تعرفين طبعاً من أين يأتون أم أنك ربما لم تنتبهي لذلك...»

قالت بصوت حاد: «نعم. ها أنني ادرك الآن انك لا تعني تنظيف الحديقة فقط من الأعشاب الضارة الذي عليّ القيام به.»

قال: «سأرى من سيقوم بذلك. سأعود إلى البيت حوالى

www.elromancia.com

السابعة. هل تريدين أن تحضر لنا السيدة جونسون شيئاً للعشاء؟»

قالت من دون تفكير: «سأطبخ أنا.»

قال وهو ينظر في ساعته: «افعلي ما تشائين. عليّ أن اذهب الآن.» واخذها بين ذراعيه يحتضنها بقوة وحرارة قاطعاً منها الأنفاس ثم تابع قوله: «انتبهي إلى نفسك.»

ركبت جو سيارتها متجهة إلى عملها، ولكنها، عندما وصلت، وجدت انها لم تنتبه إلى العشرة كيلومترات التي اجتازتها وهي تفكر. (عندما يبدأ الأطفال بالتوافد)؟ لقد تكهنت امها بأنه يريد أن يؤسس اسرة حالاً، ولكنها اعتبرت هذه الفكرة سخيفة. فالرجل، في رأيها، لا يريد اسرة والاطفال هم من تتوق إليهم المرأة، ويراها الرجل ثمناً لمنزل يأوي إليه، وطعاماً جاهزاً على المائدة، وزوجة تشاركه سريره. لقد عملت مع الرجال طوال اليوم، وسمعت الأشياء التي يتناقلونها، وعرفت ماذا يصنعون اثناء ساعات الغداء عندما تكون نساؤهم منهمكات في رعاية الأطفال وأعمال المنزل. حتى أن زوج اختها قد حاد عن الطريق القويم عندما تضخم جسمها اثناء حملها بالتوأمين، وتوقفت عن التفكير. هذا لا يهم إذ انه لن يحدث لها مطلقاً.

تنهدت وهي تصرف ذهنها عن كلاي وحبه واضعة التفكير فيه جانباً حيث يجب أن يبقى، مذكرة نفسها بأنها امرأة عاملة. ولكن فصل حياتها الخاصة عن حياتها العملية كان أسهل عليها حينما لم يكن لديها حياة خاصة.

أمضت الصباح غارقة في مشكلات لم يكلف أحد نفسه عناء الاهتمام بها اثناء غيابها.

عندما أراد بيتر لويد، اثناء الغداء، مغازلتها بتقديم شراب لها، شعرت بالسرور لوجود عذر عندها لرفض هذا العرض وذلك بقولها دون تفكير: «انني اخلي آخر ما في شقتي من أشياء.»

سألها باهتمام غير متوقع: «تخلين شقتك؟»

أجابت: «نعم. أرجو المعذرة فليس عندي وقت كاف.»

قال: «دعي مكتب شؤون الموظفين يعرف عنوانك الجديد، كما انني أريد رقم هاتفك.»

أجابت: «ان رقم هاتفي لم يتغير، إذ أن لدي هاتف جيب.» وطبعاً، ما كانت لتعطيه رقم هاتف الكوخ. واسرعت مبتعدة وهي تشتم نفسها لعدم انتباهها، قبل ان يوجه إليها اسئلة أخرى.

الفصل الرابع

فكرت جو بسعادة، في أن الحياة الزوجية هي أجمل كثيراً من حياة الوحدة، ذلك أن أفضل طريقة لبدء عمل اليوم، هي أن تستيقظ في الصباح لترى الرجل الذي تحب، يبتسم في وجهها.

قال لها كلاي بصوت أجش: «إن عملي اليوم، هو في المنزل، فلا تستعجلي في الذهاب.»

كان الإغراء في البقاء بقربه، كبيراً، ولكن هذا اليوم كان غير عادي ويجب أن تكون قوية، فضحكت وقالت محاولة أن تهرب من طريقه: «آسفة، يا حبيبي. فقد اخترت اليوم الخطأ.» ولكنه أمسك بها دون جهد ملحوظ، فقالت متوسلة: «أرجوك يا كلاي، عندي اجتماع الساعة الثامنة. وأريد أن يكونوا عني انطباعاً حسناً.»

أظلمت عيناه واشتدت يداه لحظة، على خصرها، ثم أطلقها قائلاً: «في هذه الحالة، يا حبيبتي، من القسوة أن أؤخرك مع انه في أيامي أنا، لم يكن مهندسو البناء يدعون إلى اجتماعات.»

قالت: «لقد ترك المهندس الأعلى العمل، وأنا أقوم مقامه.» كان من الضروري أن يعلم أهمية ذلك بالنسبة إليها. وتابعت قائلة: «إنني سأقدم طلباً لنيل وظيفته، لأن لي في ذلك نفس الحق الذي يتمتع به أي شخص آخر. ولهذا يجب أن أترك لديهم انطباعاً جيداً.»

لم يجب، ولو لم تجد الأمر سخيفاً، لأقسمت على أنه كان غاضباً، وابتسمت مترددة وهي تقول: «كلاي. لا أستطيع أن أتأخر.»

أجابها دون أن يبتسم: «إذا كان الأمر بمثل هذه الأهمية لديك، فالأفضل أن تذهبي.»

قالت: «لا تدع أمامي خيارين، يا كلاي.» فاستدار إليها بوجه خالٍ من التعبير وهو يقول: «هل صعب عليك الاختيار؟»

لم تكلف نفسها عناء تحضير الفطور، وصفقت الباب خلفها بعنف وهي تتوجه نحو سيارتها لتقودها إلى عملها خلف ستار من الدموع. كانت غاضبة منه لعدم تفهمه، لكنها كانت أكثر غضباً من نفسها دون أن تدري لماذا.

بدا الاجتماع طويلاً، فقد كان عقل جو عند كلاي، تتساءل عما تراه يفعل، وانتهى الاجتماع أخيراً، وأعلن أحد الأشخاص للجميع ان ثمة فرصة لغداء مبكر.

عندما خرجا من الاجتماع، كانت يد بيتر لويد على ظهرها وهو يسألها: «هل أنت قادمة، يا جو؟»

لقد أعطت عن نفسها انطباعاً حسناً بالرغم من ذهولها العقلي، وأدخل الارتياح البهجة إلى نفسها لتقول له بابتسامة عريضة: «لقد أمضيتم مدة طويلة في فحص بياناتي.» كانت تعتذر بذلك وهي تربت بخفة على وجنة بيتر ثم خلصت نفسها من قبضته قائلة: «ستستمتع بالغداء أكثر إذ ليس عليك أن تفكر مرتين قبل أن تلقي نكتة.» ان في امكانها أن تستفيد من وقتها هذا بالذهاب إلى المنزل

ومصالحة كلاي، ولكن رؤيتها لكلاي، عندما استدارت، أعفتها من الذهاب إلى البيت.

كان كلاي يرتدي سروال جينز ضيقاً وقميصاً أبيض فضفاضاً مما أعطاه مظهراً مماثلاً، نوعاً ما، لمظهر قرصان القرن السابع عشر، وكان مستنداً إلى سيارته الأوستن وقد عقد ذراعيه فوق صدره، وهو يراقبهما وقد بدت نذر الشر على ملامحه، وخفق قلبها لرؤيته، فتركت المجموعة لتتقدم نحوه.

قالت: «مرحباً يا كلاي، ما أجمل أن أراك.»

قال لها دون أن يبدو عليه السرور: «حقاً؟» وفتح باب السيارة لها لكي تصعد، بنظرات آمرة. وعندما اتخذت مقعدها بجانبه، لم يعد إلى الكلام إلى أن استدارت السيارة إلى مكان هادىء حيث أوقفها تحت بعض الأشجار، ثم استدارت إليه قائلة: «حسناً، ماذا تريد؟»

أخذ يحدق أمامه من خلال زجاج السيارة، وقد اشتدت قبضته على المقود. ثم قال: «لست متأكداً تماماً مما أريد. انني أعلم انني جئت لأعتذر عما حدث هذا الصباح. لقد أردتك أن تبقي بجانبي. إن هذا مفهوم، ولكنه ليس صواباً تماماً.»

ألقت إليه نظرة متشككة وهي تقول: «كلا، ليس صواباً تماماً.» لقد بدا منطقياً، ولكنها لم تكن مقتنعة. فقالت: «إذا تأخر رجل في عمله، كما ترى، فلا أحد يقول شيئاً. ولكن عليّ أنا أن أكون... حسناً، ليس عليّ أن أفعل هذا... أليس كذلك؟»

تابع كلامه متجاهلاً ما قالت: «ثم إذا بي أتواجه مع

زوجتي... زوجتي العاملة... العاملة المهنية إلى درجة تفضل معها أن يظن الناس أنها غير متزوجة، والتي يجب أن لا تتأخر عن الاجتماعات مهما كان الأمر، والتي تعبث وتغازل ذلك المغرور.»

قالت بهدوء تام جاهدة أن لا ترفع صوتها: «أخبرني يا كلاي، ما الذي تعترض عليه أكثر من غيره؟ الغزل؟ أم انني أغازل مغروراً؟»

أمسك بكتفيها يحدق فيها بغضب قائلاً: «الاثنين، وإذا رأيت ذلك الرجل، مرة أخرى، يضع اصبعاً عليك، فإنني سأدق عنقه و...»

سألته: «وماذا؟ ما الذي ستفعله بي يا كلاي؟ هل ستهزني كتلميذة مدرسة عابثة؟»

ظل ممسكاً بها لحظة وقد غرز أصابعه في كتفيها. ثم تمالك نفسه بجهد، وقال: «لن يكون في ذلك فائدة. إذ انني أعلم انك لن تخافي مني أو من أحد غيري. ولكنني أملك سلاحاً واحداً نعرف، نحن الاثنين، أنه لا يمكنك مقاومته.»

حدثت نفسها التي اهتزت من الغضب لشكوكه تلك، ان عليها أن تقاوم، ولكنها عندما رأت نفسها بين ذراعيه، لم تعد تفكر بشيء. وعندما تركها، وإمارات الفوز تكسو ملامحه، جلست تغالب دموعها وقد شعرت بالمذلة للسهولة التي استطاع بها أن يمتلك جسدها.

قال بغضب: «كان يجب أن أفعل ذلك هذا الصباح.»

«إن وظيفتي هامة بالنسبة إليّ، يا كلاي.»

أمسك بذقنها مجبراً إياها على النظر إليه وهو يقول: «لقد أوضحت ذلك من قبل. فإذا كنت تريدين أن تكوني امرأة

مهنية، فأنت كذلك. ويمكنك أن تستمري في تسمية نفسك الآنسة غرانت كما تشائين، إذا كان هذا يسرك. ولكن لا تنسي أبداً انك زوجتي، أولاً وأخيراً وعلى الدوام.»

سالته من بين دموعها الغاضبة: «ولماذا أنسى؟ ولماذا تظنني تزوجتك إذن؟»

لوى شفتيه ساخراً، وهو يقول: «إنك تزوجتني، يا جوانا، لأن جسدك تذكر فجاة لماذا خُلق. وكذلك لأنني أنا أردتك لتدركي ذلك.»

سالته: «حقاً؟ لماذا؟ لماذا تزوجتني؟»

نظر إليها لحظة، ثم أشاح نظره عنها ليدير المحرك وهو يقول: «سوف أعيدك إلى العمل.»

أنزلها من السيارة في الوقت الذي كان فيه الآخرون يعودون من فرصة الغداء، ووقفوا يحدقون في السيارة بإعجاب إلى أن توارت في المنعطف، وعندما مرت بجانب بيتر لويد، أوقفها هذا وهو يسالها: «من هو ذلك الرجل؟»

لم تشأ أن تتكلم معه لأنها إذا أخبرته بأي شيء، فلن تقع عيناها عليه مرة أخرى. ولكنها قالت باختصار: «إنه كلاي تاكيراي.»

كرر الإسم مفكراً: «تاكيراي... كلاي تاكيراي. كانني أعرف هذا الاسم. ماذا يعمل؟»

سالته ببرود: «يعمل؟»

أجاب: «ربما كان الأمر مصادفة، ولكنني رأيته في المكتب أمس، لقد انتشرت كل أنواع الشائعات عمن يستلم مكان تشارلز ريدموند منذ اصابته بالذبحة القلبية. ذلك أن

رواتب الشركة التقاعدية كبيرة. وهي ذات اغراء كبير لنوع معيّن من رجال الأعمال.»

ثار بها الفضول رغماً عنها، فسالته: «من أي نوع؟»

أجاب: «النوع الذي لا يهتم إلا بالمكاسب، ولا يهتم أبداً بأولئك الناس البسطاء الذين يصنعون له تلك المكاسب.»

قالت وقد اهتز جسمها: «ولكن كلاي ليس من هذا النوع. فهو مهندس مدني. وكان يعرف أبي.»

ألقى عليها نظرة طويلة ثم قال: «حسناً، ربما تعلمين عن ذلك أكثر مما أعلم. إنك تملكين تلك الأسهم الطيبة في الشركة التي تركها لك أبوك، فمن الأفضل أن تنتبهي.» وبدا في نظرته المكر وهو يتابع: «ربما يحاول السيد تاكيراي أن يوقعك في غرامه.»

قالت: «آسفة، فأنا لم أسمع بشيء، أرجو المعذرة.» ولم تنتظر لتسمع جوابه. ولكنها، عندما انفردت بنفسها في مكتبها، أخذت تفتش في حقيبتها عن الرسالة التي سبق وتلقتها من مكتب المحاماة بشأن رفع المبلغ لشراء اسهمها.

يبدو انه كان يعلم. ووصوله حين تعارفا، تصادف مع رفضها للعرض الأول، وأخذت تحدق في الرسالة طويلاً، ثم ابتدأ قلبها ينبض بالألم، لتخنقها غصة. ومدت يدها إلى الهاتف، كان من الحماقة أن تتجاهل ذلك. وإذا كانت تجهل الاغراءات في استلام مكان تشارلز ريدموند، فعليها وحدها يقع اللوم. ذلك أنها مسؤولة تجاه ريدموند ونفسها كشريكة. فعلى الأقل إذن، عليها أن ترى ماذا يدور هناك، ليس لأنها ظنت أن كلاي متورط في الأمر، أبداً. ولكن،

عندما سألته لماذا تزوجها، لم يجبها بشيء. كما أنه لم يذكر شيئاً عن زيارته إلى مكتب شركة ريدموند.

الحقيقة أنها لا تكاد تعرف الآن عن نوع أعماله أكثر مما كانت تعرف في أول يوم تعارفهما. وفي وثيقة زواجهما كتب أن عمله هو مدير شركة. وعندما سألته أية شركة، اكتفى بالابتسام وهو يقول: «كانوا نصف دزينة في آخر احصاء. انما لا بأس، فأنا لا أظنك سمعت بأي منها.» ثم أخذها بين ذراعيه فنسيت كل شيء.

في ذلك المساء، أخرجت من خزانتها صندوق أحذية فارغاً لتجد فيه وثيقة أسهمها في الشركة. وكانت عندها أغلى من النقود. لقد ساعد والدها تشارلز ريدموند عندما تعرضت الشركة للإنهيار قبل سنوات، فأقرضه مبلغ التأمين على الحياة التي تخصه وكانت هذه الأسهم مكافأته من الشركة. وقد أراده أن يلتحق معهم بمجلس المديرين ولكن أباها امتنع لأنه لم يكن مهتماً بمالية الشركة ومعاملاتها. لقد كان مهندساً مدنياً ولم يشأ أن يغير من واقعه ذاك، ولقد ترك لها سنداً، لأنها ستكون في حاجة إلى سند في عالم الرجال، ولم تتوقع أن تؤول إليها تلك الأسهم بتلك السرعة، وساورها شعور بالذنب لأنها اعتبرتها من حق أمها. ولكن الأم التي كانت قد تبنت وجهة نظر الأب، رفضت هذه الأسهم حين عرضتها ابنتها عليها.

أجفلت وهي تسمع صوت كلاي يقول: «ما الذي تفعلينه؟» ورفعت ناظريها من حيث كانت جالسة على الأرض تحيط بها الأوراق، ولم تكن قد سمعت صوته وهو يصعد السلم.

أجابت: «كنت أبحث عن بعض الأشياء.» وحاولت أن

تعيد الوثيقة إلى المغلف، ولكن كلاي وقف إلى جانبها ومد يده يأخذها من يدها. وتفحصها مفكراً ثم نظر في عينيها اللتين كانتا تراقبانه وهو يقول: «يجب أن تكون هذه في مكان آمن في الطابق الأسفل، يا جو، فهي وثيقة هامة جداً.»

ردت عليه قائلة: «أعرف ذلك.» وارتفع حاجباه بحدة إزاء لهجتها الجافة بينما تابعت قولها: «فكرت في أنها يجب أن تكون في البنك ولهذا كنت أبحث عنها.»

سألها: «وهل نويت أن تبيعيها؟» كان في صوته اهتمام غير عادي مع انه كان يتكلف عدم الاهتمام. حاولت أن تتذكر ما إذا كانت قد ذكرت أن العرض الذي قدم إليها كان من أجل أسهمها في ريدموند ولكنها لم تتذكر.

قالت: «لا أفكر في بيعها حالياً. إنما فكرت في أن الوثيقة يجب أن تكون في مكان آمن.»

قال: «معك حق. هل تريدين أن أقوم بذلك من أجلك. يمكنني أن أضعها لك في خزنتي.»

تساءلت عما إذا كان وجود الوثيقة في حوزته تمنعها من البيع لأي شخص آخر، فتكون الوثيقة بمثابة السند الذي ربما يحتاجه هو ليسيطر على شركة ريدموند.

قالت: «إنني... لقد سبق وتحدثت مع البنك وسأذهب إلى المدينة غداً لإيداعها.»

قال وهو يسلمها إياها: «فهمت. في هذه الحالة سأترك الأمر لك لتتدبري الأمر، انتبهي إليها.»

أعادتها إلى مغلفها، ثم أخذت تجمع بقية الأوراق ولكن

حضوره جعلها مضطربة. وفي النهاية، جمعها هو ورتبها ثم ناولها إياها. ومنذ عودتها إلى المنزل، لم يتبادلا أي حديث إلا الكلمات الضرورية المهذبة. ولكنه مرر يده على وجنتها برقة بالغة وهو يقول: «إنه مساء جميل، يا جو. لماذا لا نذهب لنتمشى؟»

حاولت أن تبتسم وهي تقول: «نتمشى؟»

قال: «نصل فقط لنتناول العصير.»

قالت: «نعم، إذا شئت، سأرافقك حالاً.»

كان الشاطىء مزدحماً، والنهر غاصاً بالزوارق التي تحمل القادمين للإستمتاع بجو شهر تموز - يوليو، وقوارب النزهة البخارية كانت في الماء بأعداد كبيرة. وسارا فترة دون أن يتبادلا الكلام. ذلك أن جو لم تستطع التفكير في موضوع لا يعيدهما إلى ذلك الجو المتوتر. ولكن كلاي أمسك بيدها وهو يشير إلى أسرة من البط. فقالت: «هنالك عش قرب مرسى الزوارق عندنا.» وكان صوتها يرتجف من الشوق لنسيان كل شيء حدث بينهما منذ استيقظت ذلك الصباح، وتابعت: «ولكن البيض لم يفقس بعد...» وتلاشى صوتها.

قال: «كنت أريد أن أتحدث معك عن المرسى ذاك. هل تحبين الزوارق؟»

قالت: «من أية ناحية؟»

قال: «من أية ناحية كانت.»

قالت: «كلا. لا أظن ذلك، إذ انه لم يسبق أن ركبت في شيء أكبر من زورق حقير ذي محرك.»

قال: «يمكنني أن أقوم بشيء أفضل، فقد تحدثت إلى

شخص هذا الصباح لكي يلقي نظرة على بيت الزورق، ذلك أنني صممت على اصلاحه.»

هتفت: «اصلاحه؟» وفكرت في امكانية إصلاح تلك الكومة المتهالكة التي يطلق عليها اسم (بيت الزورق) من باب التبجيل، وتابعت قائلة: «ليس ثمة سوى القليل الذي يمكن إصلاحه وأظن الكلمة المناسبة هي أن تقول، نعيد البناء.»

لاحت على شفتيه شبح ابتسامة وهو يقول: «ربما. كان يجب عليّ أن أوفر دفع ثمن الاستشارة وأسالك أنت.»

«ولكن كان في استطاعتك القيام بذلك بنفسك.»

«يمكنني أن أقوم بكل شيء بنفسي يا جو، ولكن وقتي لا يسمح بذلك.»

«لا يسمح بذلك؟» وحاولت أن تتجنب سؤاله عما يعنيه بالضبط بالنسبة لما يملأ به وقته. فقال: «حسناً، إنني احتاج إلى عامل معين، هل يمكنك أنت ذلك؟»

«سيكون هذا مسلياً.» وابتسمت وهي تتصور نفسها تعمل معه جنباً إلى جنب. وأبعدت هذه الصورة من ذهنها ببطء، متابعة قولها: «انني اشاركك رأيك، ولكن من هو الذي سيتعهد البناء؟»

«شركة ريدموند، ذلك أنها تقوم بالبناء على شاطىء النهر مما يجعل اختيارنا لها واضحاً.»

هتفت: «أوه... ريدموند. هذا رائع.» وشعرت وهي تنطق هذه الكلمات، براحة نفسية مفاجئة فقد كان قوله هذا تفسيراً معقولاً لوجوده في المكتب. فقد كانت نفسها تتردد لكي تساله عن ذلك. حسناً، لقد صلح كل شيء الآن بصورة مفاجئة.

قال بجفاء: «انني مسرور لسرورك هذا.» ووقف ناظراً إليها باستغراب قائلاً: «ما بك؟»

أجابت وهي تلقي بذراعيها حول عنقه: «لا شيء أبداً.» كانت تبتسم بغباء وهي تستطرد: «الا انني جائعة إلى درجة لا تصدق.»

قال وذراعاه حول وسطها: «حقاً؟ حسناً، فأنت لم تتناولي طعام الغداء، كما أنك لم تأكلي جيداً أثناء العشاء.»

قالت: «وكذلك أنت. ربما من الأفضل أن أترك الطبخ للسيدة جونسون.»

قال: «ولكن طبخك جيد... ولكنني لا أشعر بانني...» وتوقف، ثم قال: «فلنعد إلى البيت يا جو.»

في ما بعد، وهي مستلقية في فراشها في الظلام، أخذت تستعرض أحداث اليوم مرة أخرى، محاولة أن تعرف السبب الذي جعل النهار بهذا السوء. وأخيراً، قررت أن الثقة هي أصل كل شيء. ذلك أن ليس ثمة سبب يجعل كلاي يغار من بيتر ليتصرف بهذا الشكل الغبي ربما كلاي يعمل ضد مصلحة شركة ريدموند ومستخدميها، وخامرت الشكوك نفسها. وانتهت إلى انها وكلاي ما زالا شبه غريبين خارج الفراش. ولكن الزمن كفيل باصلاحه. وابتسمت عندما أخذها بين ذراعيه. وتمتم قائلاً: «هيا، ارقدي.»

ردت عليه: «ساعدني على ذلك.»

قال لها على مائدة الفطور: «إذا كنت ستذهبين إلى المدينة اليوم، فلماذا لا تمرين عليّ في المكتب؟»

أجفلت جو، وهي تشعر بالذنب، ما الذي جعل كلاي يدرك أنها ذاهبة هذا النهار إلى مكتب المحامين؟ وتابع هو قوله:

«لقد سبق وقلت انك ستأخذين وثيقة أسهمك إلى البنك.» وشعرت بوجنتيها تلتهبان بينما تابع قائلاً: «إلا إذا كان لديك مشروع آخر، طبعاً.»

قالت: «كلا. أحب جداً أن أرى مكتبك. إنني سأنتهي في الساعة الثانية عشرة كما أظن.»

قال: «في هذه الحالة، سأجعل سكرتيرتي تسجل اسم الآنسة غرانت لأجل الغداء.» ووقف وقبلها على جبينها وهو يقول: «لا تتأخري.»

أجابت مازحة: «كلا يا سيدي! سأراك في ما بعد.»

في الساعة الحادية عشرة، كانت في مكتب شركة المحاماة في المدينة التي بدت وكأنها ابتدأت العمل منذ اعتلت الملكة فيكتوريا العرش. وفكرت جو بأن من الممكن جداً أن واحداً أو اثنين من الموظفين هما من المستخدمين الأوائل ما زالا أحياء يعملون!

لكن السيد هنري دبلداي لم يكن واحداً منهما بالتأكيد. فقد كان أنيقاً رقيقاً سحرها بشخصيته. ولكنها عندما نهضت بعد نصف ساعة لم تكن تعلم عما جاءت لأجله، أكثر مما كانت تعلم من قبل، من أن العرض لشراء أسهمها في الشركة قد قدم من شخص فضّل أن يبقى اسمه مجهولاً، وقد اجتهد السيد دبلداي أن يبين لها كيف أن ذلك العرض كان أعلى من أسعار السوق، وسألت إذا كان ثمة شخص آخر قد قدم مثل هذا العرض، ولكنه لم يكن من المفروض أن يجيب عن سؤالها هذا، كما قال. وسألته عن السبب الذي يجعل ذلك السيد يدفع مثل هذا المبلغ، ولكن هذا كان سراً هو الآخر. وسألته كيف عرفوا أنها تملك أسهماً فأخبرها

أن ذلك موجود عادة في السجل العام وهذا لم تكن تعرفه من قبل.

سرعان ما أدركت انها لن تعرف شيئاً من هذا الشخص. ولكنها وجدت لنفسها عذراً في أن ذلك لم يعد مهماً، ووعدت بأن تعيد التفكير في هذا العرض في محاولة لتفليف كذبها بشيء من الحقيقة. ونظرت إلى ساعتها لترى ما إذا كان في إمكانها الذهاب إلى البنك الآن لإيداع الوثيقة لتجد ان من الأفضل إرجاء ذلك إلى ما بعد الغداء.

أوقفت سيارة، وأعطت السائق عنوان مكتب كلاي الذي كان في بناية ضخمة رائعة.

صعد بها المصعد إلى الطابق الحادي والعشرين، حيث سارت في ممر فخم مغطى بالسجاد جلست في نهايته فتاة حمراء الشعر رائعة الجمال وراء مكتب الاستقبال. وشملت الفتاة ملابس جو بنظرة فاحصة، وبدا عليها أنها لم تجدها متناسبة.

قالت جو تقطع عليها فحصها هذا: «إن السيد تاكيراي في انتظاري. انني جوانا غرانت.»

أخذت الفتاة تنظر في قائمتها وهي تردد: «الآنسة جوانا غرانت.» ويبدو أنها أدركت أن هذه المرأة لا يمكن أن يكون لها عمل يتعلق بأمثال كلاي تاكيراي.

أشارت الفتاة إلى كرسي لتجلس جو عليه وهي تقول متنهدة: «تفضلي بالجلوس، وسأرى إن كان غير مشغول.» وكانت تصرفات الفتاة العفوية تبعث على التسلية لو لم تكن جو تشعر بالضعف. ولأول مرة، شعرت بالندم لاحتفاظها باسمها بعد الزواج. ولكنها ما لبثت أن نبذت هذا الخاطر

بازدراء، ذلك أنها في مهنتها، لا بد أن تجعل كل إنسان يعرف أنها ابنة جو غرانت.

اتصلت الفتاة هاتفياً، وبعد ثوان أقبل كلاي ماداً يده بتحية متكلفة قائلاً: «الآنسة غرانت، إنك شرفتنا بحضورك.» وكانت ملامحه بمنتهى الرصانة.

مدت يدها تصافحه برزانة قائلة: «السيد تاكيراي؟ لقد سمعت الكثير عنك.»

سألها بشكل جاد: «هل يدعو ذلك إلى قلقي؟»

همست: «كثيراً.» ثم قالت بصوت عال وهي تدير ناظريها حولها: «كنت متشوقة إلى رؤية مكتبك.»

قال: «أخشى أن لا يكون الوقت كافياً الآن.»

أمسكها بذراعها يقودها بعزم نحو المصعد، ولكنه توقف لحظة أمام موظفة الإستقبال قائلاً: «سأعود حوالى الثانية والنصف، ولكن إذا وصل هنري قبلي فقدمي له القهوة وأخبريه أنني لن أتأخر طويلاً.» وتركها بابتسامة دافئة.

أجابت الفتاة وهي تلتهمه بناظريها: «نعم، يا كلاي.» وشعرت جو بطعنة غيرة في أعماقها. وفتح باب المصعد، فدخلا إليه ثم التفتت إلى كلاي قائلة: «هل تعرف تلك الفتاة أنك متزوج؟»

أجاب: «ليس من عادتي أن أبحث شؤوني الخاصة مع المستخدمين عندي. ولا بد أنك تتعاطفين مع رغبتي هذه... هل تراها أزعجتك.» كانت أساريره جامدة وهو يتكلم. فأجابت: «ولماذا تزعجني؟» وظنت نفسها تبتسم.

قال وهو يهز كتفه: «يظهر ان ذلك قد حدث، انني أعدك يا جو، انه في اليوم الذي ترضين فيه أن تحملي اسم تاكيراي، سأضع إعلاناً في كل الصحف المحلية لأجعل العالم كله يعلم أنك زوجتي.»

قالت بلا مبالاة: «سأعلمك بذلك في حينه.»

أوقف البواب لهما سيارة، حملتهما إلى غريك ستريت لتنزلهما عند باب المطعم وصعدا إلى الطابق الأعلى حيث جلسا إلى مائدة في زاوية بعيدة عن القاعة.

قال كلاي: «في إمكاننا هنا أن نرى كل شخص.» ونظرت جو حولها باهتمام حيث كانت صور مشاهير الممثلين بتوقيعهم، معلقة على الجدران. وتركزت عيناها على وجه مألوف لشخص يجلس إلى مائدة قريبة.

سألته: «أليس ذلك الشخص هو...»

أجاب كلاي دون أن يرفع عينيه عنها: «أظنه هو ما دمت تقولين أنت ذلك.»

طلبا، سمكاً وصلصة المحار، ثم جلسا يراقبان الداخلين والخارجين من المشاهير، ونسيت جو كل شيء عن أسهمها، والجميلة ذات الشعر الأحمر، حين أخذ كلاي يسليها. وسألته: «هل تأتي كثيراً إلى هنا؟» وجاء النادل ليضع أمامهما الحلوى، فاستطردت: «يبدو ان الجميع يعرفونك.»

أجاب: «في مناسبة كهذه المناسبة الآن، أي عندما أستضيف أحداً.»

قالت: «مثل من على سبيل المثال؟»

نظر إليها مبتسماً وقال: «فقط بشأن العمل يا جو.»

أخذت تعبث بشوكتها وهي تقول: «إنك لم تخبرني قط عن نوع عملك.»

استقام في جلسته وهو ينظر إليها مفكراً، ثم قال: «كلا! إذ دوماً، عندما أكون معك تكون بيننا أشياء أكثر أهمية.»

احمر وجهها قليلاً، ثم قالت: «يمكنك أن تخبرني الآن.»

قطب حاجبيه وهو يقول: «هل لذلك أية أهمية؟»

قالت وهي ترفع كأس الماء إلى شفتيها الجافتين: «كل ما له علاقة بك يهمني.»

هز كتفيه قائلاً: «لقد سبق وأخبرتك انني مستشار، انني أعين المشكلات التي تقع في هيكل الإدارة ثم أعمل على إصلاحها.»

قالت وقد أصابها الإضطراب لهذا الجواب الذي لا يحمل التفاؤل: «ولكنك مهندس مدني؟»

أجاب: «مبدئياً، نعم. ولكنني، بالعكس من أبيك، يا جوانا لم أجد في التعامل مع الاسمنت ما يرضي طموحي واهتمامي.»

تمتمت: «كان يجب أن يكون لك مقعد في هيئة الإدارة؟»

كانت تحدث نفسها أكثر مما تحدثه، ولكنه قال فوراً: «مقعد في مجلس الإدارة؟»

وجدت نفسها تخبره عن الوقت الذي ساعد فيه أبوها تشارلز ريدموند في انقاذ الشركة وكيف أن والدها رفض أن يكون في مجلس الإدارة.

قال كلاي مفكراً: «لم أكن أعلم، يا جو أن والدك قد عرضت عليه عضوية مجلس الإدارة. كان ينبغي عليه أن يقبل. ربما ينبغي عليك أنت أن تطلبي ذلك.»

www.elramancia.com

أجفلت، ثم أرخت جفنيها لتخفي مخاوفها التي استيقظت فجأة نتيجة بعد نظره. ثم قالت: «لا تكن غبياً، فأنا لا أعرف شيئاً عن إدارة الأعمال.»

قال: «لا شيء؟» وحبست أنفاسها معتقدة أن الوقت قد حان لكي يسألها عن أسهمها في الشركة. ولكنه، بدلاً من ذلك، ضحك وهو يقول: «إنني أوافقك على ما تقولين ما دمت تحتفظين بوثيقة أسهمك تلك، في صندوق الأحذية.»

تنهدت بارتياح وهي تقول: «إنه صندوق أبي.»

قال:«أتعرفين؟ إنني لست مندهشاً. ذلك أنه لو حدث وقام والدك بعمله على ساق واحدة، فإنك حتماً ستقلدينه في ذلك.»

هزها العنف البادي في صوته، وقالت: «إنني لست...» ولكن صوتها اختفى إزاء نظرة الإزدراء التي رمقها بها وهو يتابع قائلاً: «أليس كذلك؟»

تنفست بعمق وهي تقول: «لقد كنت دوماً أريد أن أكون مثله، يا كلاي. كان أنيس المحضر، ماهراً. وعندما اصطحبني ليريني البنايات الضخمة التي أنجزها، أردت أن أفعل مثله.» ولم تقل أكثر من ذلك.

أخذ بيدها قائلاً: «لقد كان جو غرانت أحد أفضل الرجال الذين عرفت، يا حبيبتي. لقد كانت له أخطاؤه كأي شخص آخر، ربما حان الوقت لكي تحاولي أن تكوني جوانا، إذ ان لها كل الحق في أن تكون لها شخصية خاصة بها.»

كان إدراكه العميق هذا، مخيفاً. وأشاحت بوجهها بسرعة لتقع عيناها على شخصية مشهورة صرفت انتباههما عن الموضوع.

لم تكتشف جو أنها لم تأخذ وثيقتها إلى البنك، إلا عندما جاءها مفتش القطار، أثناء رجوعها إلى منزلها، ففتحت الحقيبة لتخرج له التذكرة، لتجد الوثيقة المنسية تلك.

انتابها شعور بالتعاسة لنهارها ذاك الذي لم يسفر عن أي عون لها. ولو كان تشارلز ريدموند موجوداً لذهبت لرؤيته، ولكنه كان يمضي أيام النقاهة في جنوب فرنسا اثر نوبة قلبية خفيفة ولن يعود قبل اسبوعين أو نحو ذلك.

خطر في بالها أنه قد لا يكون على علم بما يحدث. وأمعنت التفكير في الحكمة من وراء الكتابة إليه، ذلك أنها لم تشأ أن تكون السبب في نوبة قلبية أخرى تصيبه. ولكن، لم يكن ثمة سبب يمنعها من الكتابة إليه للسؤال عن صحته، ثم تذكر له، بشكل عفوي، العرض الذي قدم إليها لشراء أسهمها سائلة إياه النصيحة، وبعد أن قررت هذا، شعرت على الفور بأنها أفضل حالاً. ولم تعرف لماذا لم تفكر بذلك من قبل. وهكذا، بدلاً من أن تعود إلى عملها، اتصلت هاتفياً بالمكتب لتأخذ عنوانه من سكرتيرته.

كانت تجلس إلى منضدة الزينة في غرفتها تلصق غلاف الرسالة عندما سمعت صوت كلاي يناديها: «جو، أين أنت، لدي ما أخبرك به.» وسمعت وقع خطواته صاعدة السلم. وعندما فتح الباب فجأة أجفلت هي، شاعرة بالذنب، وهي تستدير فتقع حقيبتها على الأرض لتفتح وتتبعثر محتوياتها على الأرض.

بدت في عيني كلاي نظرة تسلية وهو يرى ما حدث، ثم قال: «هيا، سأساعدك في لملمة كل هذا.»

تسمرت عينا جو على المغلف الذي يحوي الوثيقة، مدركة أن عيني كلاي لن تغفلاه.

حاولت أن تلهيه بقولها: «دع عنك كل هذا، فسألمها أنا في دقيقة واحدة، وهات ما عندك من أخبار.»

لكنه كان قد سبق وانحنى لتنقبض يداه على علبة بلاستيكية صغيرة. فوقف واضعاً إياها على راحته وهو يمدها إليها سائلاً: «ما هذه؟»

انتقلت عينا جو من هذه العلبة إلى وجه زوجها الذي ارتسم الشر على ملامحه مرسلاً في جسدها رعشة خوف. ثم قالت بهدوء: «إنك تعرف ما هي هذه.»

أخذ يهز العلبة بهدوء لتهز حبات منع الحمل في داخلها وهو يقول: «آه، نعم. انني أعرف ما هي. ولكنني أريد أن أعرف سبب وجودها في حقيبة يدك.»

قالت: «وهل هذا في حاجة إلى إيضاح، يا كلاي؟ إنني امرأة ذات مهنة وقد قدمت طلباً لوظيفة مهندس أول هذا النهار، وأنا متأكدة من الحصول عليها. ويمكنك أن تتصور ماذا يظنون عندما آخذ إجازة وضع بعد شهرين. ذلك أن شركة ريدموند لن توظف بعد ذلك امرأة في البناء أبداً. ومن يلومهم عند ذاك؟»

قال: «انني لا أكترث مطلقاً لخطط شركة ريدموند بالنسبة لتوظيف النساء، ولكن هذه الحبوب يهمني أمرها جداً.»

تجنبت عينيه قائلة: «انني لست مستعدة للتخلي عن كل ما تعبت في الحصول عليه، لكي أنشىء أسرة.»

قال وقد تجلى الألم في لهجته الهادئة: «ألا تظنين أن من حسن التهذيب... أن تخبريني عن هذا الأمر بالذات، على الأقل؟»

أجابت: «ما هذه السخافة، يا كلاي؟ إنك طبعاً، لم تتوقع مني أن آتي بابن بعد تسعة أشهر من زواجنا.»

قال: «أن تأتي ببنت تكون مقبولة هي أيضاً.»

قالت: «إنني لا أصدق هذا، فأنت لم تذكر شيئاً عن الأطفال عندما عرضت عليّ الزواج.»

قال: «سامحيني، إذ كنت في ذلك الحين، بطيء التفكير نوعاً ما، ولكنني كنت أظن أن الزواج هو نوع من الإلتزام للطرفين. أم انك لا تحبينني إلى درجة تكفي لتجعلك تحملين أولادي؟»

قالت: «الحب؟» وابتدأت الدموع تتجمع في عينيها الآن. ولكنها لم تسمح لها بالإنهمار. ومتى تحدث هو عن الحب أصلاً؟ وتابعت قائلة: «ولكن الرغبة هي التي جعلتنا نتزوج، بالتأكيد، يا كلاي. أليس هذا ما سبق وقلته أنت بنفسك؟»

قبضت أصابعه على العلبة بشدة وهو يقول: «لم أكن أدرك أنك أخذت كلماتي هذه حرفياً.» وتراجعت هي إلى الخلف وقد تملكها الخوف من النظرة الصارمة التي بدت في عينيه.

تحرك بسرعة يسد عليها الطريق قائلاً: «إلى أين تذهبين؟»

أجابت متلعثمة: «إن... إنني، يجب أن أجهز العشاء.»

ألقى العلبة من يده وهو يمسك بمعصمها يشدها إليه وهو يقول: «دعي العشاء لما بعد، أما الآن، فهذا أوان الرغبة إذن.»

أخذت تناضل للتخلص منه، وتضربه على كتفيه بثورة صامتة، ولكنه تجاهل عنفها هذا، وظلت يده قابضة على يدها بشدة إنما دون أن يؤذيها.

www.elromancia.com

هتفت: «كلا، أرجوك.»

قال: «أرجوك ماذا، يا جو؟»

لكن النار ما لبثت أن اشتعلت في جسدها، لتتهاوى بين ذراعيه.

كانت المشاعر، عند ذاك، تحوي من الرغبة أكثر مما تحوي من الحب. في النهاية، وإذ لم تعد ذراعاه تحويان أي معنى للحنان، قال لها بابتسامة الظافر: «من كان يظن، يا آنسة غرانت، أن وراء مظهرك البارد هذا، يكمن نمر هائج؟»

لكنها تملصت منه وركضت إلى الحمام، تدير صنبور المياه الباردة تبرد حرارة العار الذي تشعر به من جراء تجاوبها البالغ معه، ولتتوارى عن تلك العينين ونظراتهما ذات المعنى، ولكن صدى ضحكته تبعها إلى الحمام مسبباً لها الصداع.

بعد فترة، لفت نفسها بمعطف الحمام، ثم خرجت. وكان هو مستلقياً بظهره على الوسائد، يقلب بين أصابعه علبة الحبوب.

سألها بوجه خال من التعبير: «أما زلت تريدين هذه؟»

لم تكن قادرة على الإجابة. لم تكن تدري ما الذي تريده أكثر من الشعور بالسكينة والراحة بين ذراعيه، ولكن هذا لم تحصل عليه. نهض من السرير، فأشاحت بناظريها عنه، ولكنها أجفلت وهو يدس في راحتها العلبة ويطبق عليها أصابعها بعنف قائلاً: «خذيها إذن، ولكن لا تستعمليها لأجلي أنا، يا حبيبتي، لأنني مسافر إلى كندا غداً.»

هتفت: «كندا؟»

قال: «ذلك كان الخبر الذي أردت أن أخبرك به. وقد فكرت

في أنك ربما تريدين مرافقتي لكي نعوض عن شهر العسل الذي فاتنا، ولكن، من الواضح ان عملك يأتي أولاً.» وأزاح خصلة من شعرها عن عينيها متابعاً: «إنك ابنة أبيك، يا جو. حتى تراب الإسمنت في شعرك.» ومدّت يديها إليه تريد أن تمسك به، لكي تقنعه بحبها، ولكنه كان قد استدار مبتعداً عنها نحو الخزانة حيث أخذ يضع ثيابه في حقيبة من القماش.

تملكها الخوف، وقالت: «ولكنك قلت غداً.»

أجاب: «سأمكث في فندق المطار هذه الليلة وما الذي بقي من هذه الليلة، على كل حال؟»

قالت متوسلة: «كلاي، أرجوك.»

رفع ناظريه إليها قائلاً: «آسف، يا عزيزتي. كان عندي ما يكفيني هذه الليلة...» وشهقت بينما كان يقفل الحقيبة، مظهراً الارتياح. ثم قال: «سنتحدث في مسألة زواجنا عندما أعود، يا جو. وربما في هذه الأثناء، يمكنك أن تعاودي التفكير في ما تعتبرينه من الأولويات بالنسبة إليك.»

وما لبث أن دخل إلى الحمام مغلقاً الباب خلفه بعنف.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

كانت جوانا تنتظره وقد ارتدت ثيابها، عندما نزل إلى القاعة وهو يلقي نظرة على ساعته قائلاً: «لماذا لم تنامي بعد. الوقت ما زال مبكراً لذهابك إلى العمل حتى بالنسبة إلى موقفك الخاص.»

أجابت وقد صممت على أن لا تدع فرصة لأية مناوشات الآن: «كلا، أبداً. فإن عمل البناء مستمر على مدار الساعة.»

قال: «حسناً، ستبقين لذلك، مشغولة على الدوام اثناء غيابي. دون أن يشغلك عن عملك هذا زوج متعب.»

هزت رأسها قائلة: «انني لست داخلة في مناوبات العمل الليلي، يا كلاي.»

ابتسم ساخراً وهو يقول: «وهل تحتملين ذلك بما فيه من تمييز بين الرجل والمرأة؟»

قالت بسرعة: «ولكنني كنت مسرورة بذلك لأكون بقربك.» ولكنه رفع فقط حاجبه غير مصدق. وتجمدت هي لحظة، ثم تناولت حقيبتها تفتش فيها عن مفاتيحها لكي لا ترى النظرة الباردة القاسية في عينيه. وتابعت كلامها: «لقد ارتديت ثيابي لكي اوصلك إلى المطار.»

قال: «لقد سبق واستدعيت سيارة أجرة، وستكون هنا في أية لحظة.» وتأكيداً لكلامه، تصاعد صوت بوق السيارة عند البوابة الخارجية.

سألته جاهدة في ألا تدعه يرى مقدار لهفتها: «متى ستعود؟»

قال: «سأرسل إليك خبراً بذلك.» وابتدأ قناعها البارد ينهار وهي تقول: «ايمكن أن تترك لي عنوانك؟ أو رقم هاتفك؟»

قال وهو يفتح الباب: «إذا كان ثمة أي شيء مستعجل. فإن مكتبي سيتصل بي.»

وقف برهة ينظر إلى السماء القاتمة، ثم ما لبث أن غاص الظلام.

أرادت أن تركض خلفه في الطريق، أن تلحق انوار السيارة المبتعدة في الطريق نحو الشارع العام، لكي تخبره كم تحبه، لتجعله يستمع إليها، لتعده بأي شيء يريده منها. ولكنها التصقت بالباب لتتهاوى على الأرض واضعة خدها على الأرض الخشبية القديمة الباردة، حتى نبهتها زقزقة العصافير إلى بزوغ الفجر.

نهضت وقد تصلب جسدها، ثم صعدت الدرجات. كانت محتويات حقيبتها ما زالت مبعثرة على الأرض، فأخذت تلمها لتعيدها إلى الحقيبة كيفما اتفق، ما عدا الحبوب، التي رمتها في القمامة. عندما يعود كلاي سيتحدثان في الأمر ويقلبانه من كل الوجوه. عندئذ، ربما سيكون في إمكانهما أن يبدآ من جديد.

مرت الأيام. وابتدأت آلام الشوق إليه. لقد تاقت حتى إلى سماع صوته. ولكنه لم يتصل بها أو يكتب إليها. وحاولت أن تحدث نفسها بأنه على حق. فقد كانت في حاجة إلى وقت تقرر فيه أمر مستقبلها. وعندما تعالى رنين الهاتف، هرعت إليه، مقطوعة الأنفاس، ولكن لتشعر بخيبة أمل وهي تسمع صوت امها. دعتها أمها لقضاء عطلة الأسبوع عندها.

www.elromancia.com

وفكرت هي في أن ذلك قد يساعدها على تغيير شعورها بالوحدة. ولكن مرور يومين عليها، متصنعة الشجاعة والهدوء أمام أمها، جعلها تتمنى لو بقيت في بيتها حيث ليس ثمة من يلاحظ امتقاع وجهها، وحيث لا تكون في حاجة إلى تجنب الأسئلة الفضولية حول احتمال ابتدائها بتكوين اسرة.

بعد ظهر يوم الأحد، جاءها استدعاء مستعجل من بيتر وجدت فيه فرصة للهرب، حين قال لها: «آسف لاستدعائك، يا جو. ولكن المهندس مايكل نقل إلى المستشفى لإجراء عملية الزائدة الدودية بصورة مستعجلة، وأنا لدي واجبات عائلية.»

قالت: «ليس ثمة مشكلة هناك.»

قال: «لا اعني بالنسبة إليك وإنما بالنسبة إليّ أنا، إذ أنك غير معتادة على العمل الليلي.»

قالت: «هذه سخافة.»

أجاب: «نعم، اعرف هذا. لقد اخبرتهم في المكتب، بأنك ستقبلين أخذ مكانه في العمل. ولكن ما يحيرني هو تلقيك الخبر بمثل هذا الهدوء.»

هزت كتفيها بعدم اكتراث، قائلة: «حسناً، لا تقلق، فأنا لن اتحدث عن هذا الأمر إذا أنت نفسك لم تتحدث عنه.» ولكنها كانت ليلة طويلة شاقة، وشعرت بالارتياح وهي ترى سيارة بيتر في الموقف في الصباح. وما أن انهت توقيع تقرير العمل، حتى القت نفسها في سيارتها وهي تلهث من التعب.

أطل عليها بيتر من نافذة سيارتها وهو يقول: «لا أظن ان

في استطاعتك قيادة سيارتك بنفسك، يا جو، لماذا لا تدعيني اوصلك بسيارتي؟»

لم تستطع ان تناقشه إذ كانت تشعر بالدوار والغثيان من التعب. ولم تعرف كيف اوصلتها قدماها إلى سيارته.

استيقظت عندما وقفت بها السيارة خارج الكوخ. وكان ذهنها مشوشاً وهي تسأل «ماذا؟» ولكنها سرعان ما أدركت أنها أمام بيتها، فتابعت، «آه، ها قد وصلت إلى البيت.»

قال وهو ينحني إليها يفتح لها باب السيارة وقد كاد وجهه يلتصق بوجهها: «ها قد وصلت آمنة وفي أحسن حال.» بدت في عينيه نظرة ماكرة وهو يتابع قوله وقد كور شفتيه: «أفلا استحق مكافأة؟» وقبل ان تتحرك، كان قد قبلها. دفعته عنها بعنف وهي تنزل من السيارة بسرعة ولكن صوته تبعها قائلاً: «حسناً، لقد علمت الآن لماذا لم تعترضي على دوام الليل.»

نهرته قائلة: «معذرة؟»

أجاب: «انني لا انسى تلك السيارة الواقفة هناك.» واستقرت عينا جو على سيارة الأوستن التي كانت واقفة على الحصى في الطريق لتنتبه فجأة إلى معنى ما ترى وقالت: «ليس الأمر كما تظن يا بيتر.»

تبعتها ضحكته وهو يقول: «ذلك يعود إلى نوع تفكيري.»

لكنها لم تكد تسمعه وهي تركض مجتازة الطريق نحو الكوخ. لقد أصبحت الأمور في نظرها في غاية السخافة. فهي متزوجة الآن. لقد طال التصاقها باسم ابيها إلى درجة كافية. وهي لم تعد بعد الآن جو غرانت. لقد عاد كلاي إلى

المنزل لتضع بهجتها النهاية لكل الشكوك التي راودتها. إذ لم يعد هناك شيء اكثر اهمية عندها من حبها له.

بينما كانت تفتش عن مفتاحها وإذا بالباب يفتح، ليقف هو خلفه ليسمح لها بالدخول.

هتفت وهي تلقي بذراعيها حول عنقه: «كلاي. ما اشد سروري بعودتك.» ولكنه لم يأت بحركة من جانبه نحوها. وبدلاً من ذلك، مد يده من فوق رأسها ليدفع الباب فيغلقه خلفها بعنف جعلها تقفز متراجعة إلى الخلف. وقد شعرت بالحماقة وهي تقول: «آسفة، إذ لم أكن هنا حين وصولك. لا بد انك تساءلت...»

قاطعها: «اتظنين أنه كان لا بد أن اتساءل؟ حسناً، إنك لم تتركيني اعاني القلق والحيرة طويلاً.» واستدار فجأة تاركاً إياها واقفة وحدها في القاعة.

تبعته إلى غرفة الجلوس وقد ادركت أن ثمة شيئاً بالغ السوء قد حدث، قالت: «لو كنت أعلم انك قادم لتركت لك خبراً.» ولكنه لم يجب حتى أنه لم يكلف نفسه عناء النظر إليها. وتابعت تقول: «لقد قلت انك سترسل خبراً قبل أن تعود.»

هنا استدار إليها بعينين غائمتين وهو يقول: «كم هي مزعجة فكرتي في أن اجعلها مفاجأة لك.»

رددت قوله بحيرة: «مزعجة؟»

قال: «عندما وصلت ولم أجدك، اتصلت بوالدك هاتفياً، على افتراض انك هناك، إذ ان أبي اخبرني بأنك عند والدتك تمضين عطلة نهاية الأسبوع عندما اتصلت به منذ يومين.»

قالت وقد شعرت فجأة بالألم لكل الأحزان التي قاستها

منذ رحيله: «لقد كان في استطاعتك، إذن، استعمال الهاتف؟ لقد ظننت أنك ربما نسيت كيف تدير قرص الهاتف.»

تجاهل ثورتها هذه وهو يتابع مكرراً: «قال انك عند والدتك، وهكذا اتصلت بها.»

قالت: «لقد كنت هناك.»

«هذا صحيح، ولكنك تركتها بعد تناولك الشاي بعد ظهر الأحد. لقد استدعوك للعمل كما قالت. وكانت هي مقتنعة جداً بهذا، ولكنني توقعت تصديقها ذلك.»

قالت شاعرة بالعجز: «ولكن هذا صحيح.»

قال: «طوال الليل، يا جو؟ بينما أنا اذكر تماماً انك اخبرتني انهم استثنوك عن العمل الليلي؟»

أدركت فجأة، وقد اعتصر قلبها الألم، ما الذي يعنيه بقوله هذا. وقالت: «حسناً، يا كلاي، يمكنك أن تسأل بيتر، وهو يخبرك بأن...»

قاطعها: «ليس عندي ادنى شك، من ناحية بيتر هذا، ذلك انني متأكد من ان عنده من الأسباب ما يجعله يغطي سلوكه الخاطىء. من تلك الأسباب، اولاً زوجته. ربما كنت مخطئاً، ولكنه يبدو كرجل متزوج، ولكنها ربما هي اكثر تسامحاً مني أنا.»

قالت: «لقد عملت طيلة الاثنتي عشرة ساعة الماضية، يا كلاي. فأنا منهوكة القوى بحيث لا استطيع النقاش معك.»

قال: «تعملين بهذه التنورة الحريرية والقميص الغالي؟ هل من الممكن تصديق هذا؟»

قالت: «لقد استعرت رداء العمل من...» ولكنها توقفت عن الكلام. انها لم تفعل ما تخجل منه. وليس عليها ان تقدم

الاعذار. وقالت: «هذه سخافة. سأغتسل ثم أذهب إلى الفراش، وسنعود إلى الكلام عندما تشعر بشيء من التعقل.» وابتعدت عنه بسرعة صاعدة السلم نحو غرفة النوم. ولكنه تبعها بقوله:

«إذا كنت تريدين أن تنامي في سريري، فانتبهي إلى أن تغيري الملاءات قبل أن تخرجي.» وشعرت بتلميحه كالسكين يمزق احشاءها مما جعلها تقف فجأة في منتصف السلم. فاستدارت إليه وهي تتمسك بحاجز السلم لتمنع نفسها من السقوط: «اتريدني ان ارحل يا كلاي؟»

قال: «أوه، نعم. يا جو. أريدك أن ترحلي قبل ان اعود هذا المساء. اخشى أنه لم يبق في طبعي أي تسامح في ما يختص بك.»

حول عنها وجهه القاسي الذي لا يعرف التسامح. وتمالكت دموعها. لقد كانت على استعداد لكي تتخلى عن كل ما كانت تريده، في سبيل البقاء مع كلاي تاكيراي. ولكنه طلب منها الرحيل. وكلا الأمرين كان خطأ. ومدت يدها إليه، مصممة على ان تقنعه بشكل ما.

قال لها: «لا تلمسيني.» كان صوته منخفضاً. فهو لم يرفعه فوق مستوى المحادثة المهذبة، ولكنه مع هذا، كان ينذر بالخطر. سحبت يدها، عند ذاك، بسرعة وكأنها لمست جذوة نار.

توسلت إليه باستماتة كآخر ما في جعبتها من محاولة قائلة: «كلاي.» ولكن وجهه بقي متجهماً في وجهها. لقد كان مقتنعاً تماماً بانها امضت الليل مع بيتر لويد ولا شيء يمكن أن يغير عقله. وهي لن تذلّ نفسها اكثر من ذلك. ولو

كان يثق بها مثقال ذرة، لصلحت بينهما الأمور بسرعة. وهنا، شعرت بوخز ضميرها. ذلك أنها هي ايضاً تبادله عدم ثقته هذه. نعم، في الواقع، إن عدم الثقة من الطرفين.

لم يبق لديها سوى التمسك بالكرامة. (تزوج بسرعة. واندم على مهل) هذه هي الحكمة المأثورة. حسناً، لقد نالت الترقية في عملها، وكانت هذه هي البداية. فهي متأكدة من أن ليس عندها وقت تبدده في الندم.

لم تقل شيئاً، إذ لم تعد قادرة على الكلام اكثر من ذلك. وأومأ هو وكأنه يشعر بالرضى إذ أثبت وجهة نظره، وذلك قبل أن يستدير نحو الباب. ووقف لحظة عند الباب المفتوح، وتنفس بعمق، وعندما استدار إلى الخلف، قفز قلبها برجاء.

لكنه قال: «انني آسف، يا جو. كان يجب أن اتذكر أن الانسان الذي يوقظ نمرا غافياً، يجب أن يبقى بقربه لكي يبقيه تحت المراقبة.» ثم اختفى، وسمعت هدير الأوستن وهي تبتعد. ثم ساد السكون.

تهاوت على السلم، إذ لم تستطع ساقاها حملها. وجلست فترة وقد صعقتها الصدمة.

قفزت واقفة إذ سمعت رنين الهاتف. وفكرت لاهثة، ربما هذا هو قد غير عقله. واخذت سماعة الهاتف: «آلو، كلاي، هنا هنري دبلداي يتكلم. لأمر يتعلق بشركة ريدموند علينا أن نتقابل في أسرع وقت ممكن.»

أقفل الرجل السماعة. هنري دبلداي. وقطبت جبينها في محاولة للتذكر. أين سمعت هذا الاسم من قبل؟ ثم، تذكرت.

قفزت مذعورة فوق الدرجات وابتدأت تحزم امتعتها وتضعها في الحقائب كيفما اتفق. عليها أن تبتعد من هنا

قبل أن يعود، مخلية كل اغراضها، لأنها لن تعود أبداً.

نزعت اغطية الفراش، ووضعت الملاءات في الغسالة. حسناً، عليه ان يعيد فرش السرير بنفسه او ربما تفعل ذلك السيدة جونسون. فهذا لم يعد من اختصاصها.

لكنها في النهاية، سوت السرير، ثم طلبت سيارة أجرة. ونظر السائق إلى كمية الأمتعة والحقائب، وكان على وشك الاعتراض عندما رأى وجه جو. لكنه، نقلها جميعاً إلى السيارة بصمت، ثم سألها في النهاية: «إلى أين، أيتها الآنسة؟»

للحظة، لم تستطع التفكير. إلى أين يمكنها الذهاب؟ إلى أمها؟ أم إلى أختها؟ وأخيراً قالت: «خذني إلى فندق. أي مكان معقول في وود هيرست.»

كانت تريد الذهاب إلى مكان يمكنها فيه أن تنطوي على نفسها لتلعق جراحها.

سألها السائق: «إلى فندق الأسد الأحمر؟»

أومأت بالايجاب. إن كل الأمكنة سواء، ولم يعد مهماً أينما ذهبت.

شدت جوانا بعنف قفازيها الجلديين اللذين تستعملهما للقيادة، كما تفعل، عادة، عندما تريد أن تنفس غضبها، وهي تقول: «اتقول انني تأخرت، يا بيتر؟»

كانت تفكر في أنه لم يتحسن عما قبل. كان قد اصبح بديناً بعض الشيء، كما أن خطوط وجهه الرقيقة، ابتدأت في الترهل. ولكنه على الأقل، كان محتفظاً بأناقته على الدوام. حيث أنه كان يبقى بعيداً عن مناطق البناء، وهي لم تستطع أن تفهم أبداً السبب الذي جعل تشارلز ريدموند يضمه إلى

مجلس الادارة، ووقفت في وسط الممر المكشوف الذي يقود إلى غرفة الإدارة. ما أشدّ عنجهيته إذ يختار مكان الاجتماع في تلك القاعة الفخمة المكسوة جدرانها بخشب السنديان وذلك ليستعرض سلطته الجديدة.

قال: «اننا في انتظارك منذ ساعتين. ظننت انه قد تكون صادفتك بعض الصعوبات في السيارة.»

كانت السخرية في صوته، بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. فقد كان مقتنعاً بأنها استغلت صداقتها لتشارلز ريدموند لكي تحتفظ بمركزها، وترتقي السلم بثبات رغم كل شيء. ولكن تشارلز قد توفي الآن، وهو يظنها طريدة سهلة. حسناً، إنها لن تسقط دون عراك ضار.

قالت له: «لو أنك فقط كبدت نفسك عناء الاستماع إلى النشرة الجوية، يا بيتر، لعرفت ان ناحية البناء عندي يطمرها الثلج أربعة انشات علواً. والطريق مقفلة عند بيكونز لجهة ستوري آرمز، وكان عليّ أن انتظر مرافقة الشرطة.» وتوقفت عن الكلام لكي تلتقط انفاسها ثم تابعت: «وفي النهاية وصلت إلى جسر سيفرن، في الوقت الذي اشتد فيه عنف الرياح، وكان عليّ أن أقود السيارة صاعدة إلى غلوستر، في صف سيارات شحن طوله ميلان. والآن، ربما في إمكانك أن تخبرني بالضبط ما هو الشيء المهم الذي يجعلني احضر هذا الاجتماع هنا بعد ظهر هذا اليوم، وذلك في الوقت الذي كنت افضل فيه ان اصنع رجل الثلج؟»

جاءها صوت يقول: «لقد ارسل السيد لويد يطلبك بناء على طلبي أنا، يا آنسة غرانت، فقد ظننت أن من المهم أن تقابلي رئيسك الجديد.»

www.elromancia.com

استدارت جوانا إلى مصدر الصوت الرقيق النبرات الذي ما زال حتى الآن يمكنه ان يدفع الدم حاراً في عروقها، ليتضرج وجهها وتسرع دقات قلبها. ودخلت إلى الغرفة ثم اغلقت الباب خلفها. لقد كان هو بنفسه. كان جالساً عند طرف الطاولة المصقولة. وكانت النافذة المفتوحة خلفه قد جعلت وجهه مظللاً بعض الشيء.

عاد يقول: «تفضلي بالجلوس. وانني متأكد من أن السيد لويد سيكون سعيداً بأن يطلب فنجان قهوة لصديقة قديمة...» ولمعت عيناه ببرود.

قالت: «انني...» ثم نقلت ناظريها بين بيتر وزوجها وهي تومىء برأسها مستجيبة.

كانت تريد أن تصرخ في وجهه او أن تسأله ما معنى ان يعود الآن مقتحماً عالمها بعد أن استطاعت أخيراً أن تصل إلى حالة شعرت معها بأنه من الممكن أن يعود السلام إلى نفسها. ولكن، إذا كانت السنتان الماضيتان لم تعلماها شيئاً، فقد علمتاها ضبط النفس. والقت بنظرة فاحصة إلى مكتب السكرتيرة في الباب الجانبي. أجل إن الأمر يستلزم ضبطاً للنفس اكثر مما عندها، اكثر كثيراً.

أشار إلى مقعد بجانبه، سارت ببطء عبر القاعة، وكانت قدماها تغوصان في السجاد الناعم. وجلست بحذر، على الكرسي ثم أخذت تحدق، دون أن ترى شيئاً، في فنجان القهوة الذي وضعه بيتر امامها. وقال لها: «انني آسف إذ اسمع ما قاسيته في هذه الرحلة.»

قال بيتر: «إن في سيارتك هاتف، كان في إمكانك أن تستعمليه.»

قالت: «إنه... إنه معطل.»

خط كلاي ملاحظة على دفتر الملاحظات أمامه، وهو يقول: «أرى أنك كنت تشرفين على العمل في برينغلاس منذ سافر مدير المشاريع في إجازة مرضية.» فاومأت برأسها بصمت وهي تشعر بغصة في حلقها. فتابع قائلاً: «لقد تأخرت بالعمل عدة اسابيع.»

كان يتكلم بلهجة معقولة ولكنها شعرت مع هذا، بأن سوءاً على وشك الحدوث.

قالت: «نعم.»

رنّ صوت بيتر قائلاً بلهجة راضية: «ستة اسابيع.»

رمقه كلاي بصمت، ثم عاد يخاطب جوانا: «لقد أبعدت عن ذلك المركز منذ اليوم.»

رفعت رأسها، عند ذلك، بعنف لتواجهه. هل تراه سينتقم منها بتدميرها مهنياً؟ وسألته: «وما هو السبب؟»

أجاب: «اعادة بناء الشركة.»

سألته ببرود: «وهل أنت غير راضٍ عن عملي؟ إنني اطلب منك أن تنظر بعدل في أية شكوى.» ونظرت إلى بيتر. كانت متأكدة، حين جاءها اعلان الاجتماع، أنه أراد أن يخبرها أنه أصبح الرئيس الجديد وأن أيامها في الشركة أصبحت معدودة. كان في استطاعتها أن تحارب بيتر، أما كلاي؟ متى كان في استطاعتها أن تحارب كلاي؟

سمع نقر على الباب، ثم أطلت السكرتيرة برأسها قائلة: «آسفة لمقاطعتكم، أيها السادة، هل عندك حقيبة لأليس يا جو؟ أمر مستعجل.»

أمسكت جو انفاسها وهي ترمق كلاي بنظرة سريعة.

ولكن وجهه، الذي امتقعت ملامحه قليلاً، بقي خالياً من التعبير. ونهضت قائلة: «آسفة، فقد تركتها في السيارة.»

قالت السكرتيرة: «اعطني المفاتيح وسأحضرها بنفسي.» وارتفع صوت كلاي يخترق الصمت الذي ساد المكان بعد ذهاب المرأة: «هل احضرت ابنتك إلى المكتب؟»

قال بيتر: «ماذا يمكنك أن تتوقع إذا انت اعطيت المرأة الحرية؟» ولم يستطع ان يخفي نبرة الظفر في صوته.

استدرات إليه. إن أي مكان هو أفضل من النظر إلى عيني زوجها الزرقاوين. وقالت: «وماذا كنت تتوقع؟ هل كان يجب أن اتركها على قمة جبل ويلش بعناية ناظر العمال؟»

أجابها: «كان يجب أن تكوني في المنزل لرعايتها. ان المكتب ليس المكان المناسب للأطفال.» كان بيتر يعلم أنه كان لها علاقة مع كلاي. وادركت باشمئزاز، أنه كان مستمتعاً تماماً بهذا الوضع.

قالت تخاطبه: «انني اعلم انك سبق وصوّت ضد انشاء حضانة في المكتب لتيسير هذه الأمور، يا بيتر. ولكنني لست الوحيدة التي عندها طفل. ذلك ان عندك أباً على الأقل يحضر طفلاً معه يومياً.»

قطع كلاي مناقشتهما المرة بقوله: «كفى. ان تدابيركما هذه لا تهمني. ولكن عند سكرتيرتي من العمل ما يشغلها عن حضانة الأطفال.» ونظر إلى بيتر لويد قائلاً: «انني لا احتاجك الآن.» وكان في صوته معنى الطرد. ثم التفت إلى جو ينظر في عينيها يقيدهما بنظراته تلك. وتمنت لو يحول عينيه بعيداً. فقد كان ذلك مؤلماً للغاية. ووجدت الذكريات، حتى بعد كل ذلك الوقت الذي مضى، ما زالت في حالتها الأولى.

وأخيراً، اخترق هو الصمت بقوله: «كيف حالك، يا جوانا؟»

أجابت: «كما تراني يا كلاي.»

قال: «وحيدة ومتعبة. يبدو أن الاصحاب قد خاصموك بسرعة.» وانتقلت ناظراه إلى الباب الذي كان بيتر قد خرج منه لتوه.

استدارت نحوه بغضب قائلة: «انني متعبة لأنني امضيت يوماً متعباً، كما انني لست وحيدة يا كلاي.»

قال: «ان الوضع يدعو إلى السخرية. أليس كذلك؟ فقد اصبح يعيقك بشكل ملحوظ. ولكنك قد تدبرت امرك لكي تري ان مهنتك مازالت تنال اهتمامك الأول.»

أجابت: «انه ليس الأول، يا كلاي. ولكنني لم اهمله وذلك لسبب بسيط هو انني في حاجة إلى عمل. فأنا لم أعد اعمل لأجل نفسي الآن، وإنما أعمل لأجل ابنتي.»

قال: «ولكن والد الطفلة...» وتلاشى صوته بعد إذ لم يعد يحتمل التلفظ بالكلمة.

شعرت بغصة في حلقها، ولكنها امسكت صرخة ألم كادت تصدر عنها، لتقول: «انني لم أطلب منه شيئاً قط.»

تجهم وجهه وهو يقول: «ومع ذلك، كان عليه أن ينفق عليها. تباً له، انه يعرف. لقد قال الآن فقط انك يجب ان تكوني في المنزل لترعي ابنتك.»

تساءلت عما إذا كان سيصدقها في ما لو اخبرته الحقيقة وما الذي سيفعله. ومالبثت أن هزت كتفيها دون اكتراث قائلة: «اظن أن عليّ ان أوضح شيئاً، يا كلاي وهو، ان لدى بيتر صفات كثيرة معظمها لا يستأهل أن يتحدث عنها الانسان. ولكنه ليس والد ابنتي.»

www.elromancia.com

وقف بحركة مفاجئة جعلتها تقفز، ثم ادار ظهره لها وسار نحو النافذة يحدق في موقف السيارات في الأسفل. وعندما استدار يواجهها، كان فمه ملتوياً بشبه ابتسامة وهو يقول: «هذه هي المشكلة. المكابرة دائماً.»

لا شك في أن الذنب ذنبها إذ حاولت ان تجعله يفهم، ولكن هذا ما زال مؤلماً، وعلى كل حال، فقد نالت ما يكفي هذا النهار. ووقفت تتناول حقيبتها وقفازيها بعناية. ذلك ان احترامها لنفسها يتطلب منها الانسحاب في مظهر متماسك قبل ان تنهار كلياً.

قالت: «انني لم اهنئك على تعيينك في مركز الرئاسة، بعد. فقد كنت اظن ان بيتر سيحصل على هذا المنصب.»

أجاب: «انني آسف إذ خيبت رجاءك.»

ترددت، لقد ارادت الابتعاد عنه، الابتعاد إلى حيث يمكنها أن تلتف حول نفسها تلعق جراحها. ولكنها كانت تريد أن تعلم سبب عودته، وسألته: «ما الذي تريد أن تفعله بشركة ريدموند. هل تريد أن تنسف الشركة؟»

أجاب: «أنسف الشركة؟»

قالت: «هذا ما تعنيه كلمة(إعادة البناء). أليس كذلك؟ الأشياء الثمينة تباع لتسديد الديون، أما النفايات فتلقى خارجاً. لقد ساعدت في صنع ذلك في آخر مرة حاولت أنت ذلك، ولكن، بعد رحيل تشارلز، لا أظن أن ثمة شخصاً يهتم بالأمر، الآن، كثيراً، ماعدا اولئك الذين تكون النتيجة أن يبقوا دون عمل.»

قبل أن تتحرك، كان بقربها وقد كاد يلاصق وجهه بوجهها. ليقول: «ما الذي ظننت بالضبط انك قد ساعدت في منعه؟»

كان في إمكانها أن ترى أثر الجرح الذي احدثه في ذقنه، مرة، عامل غاضب بجاروفه. وشعرت بعطف خاص نحوه. كان من القرب منها بحيث كان في استطاعتها، اذا هي وقفت على اصابع قدميها، ان تمس ذلك الأثر في ذقنه، بشفتيها، ولقد تاقت لذلك فعلاً، ذلك أنه، رغم كل ما فعله بها، ما زال في إمكانه أن يحرك فيها عواطفها.

«ماما» واستدارت لترى ابنتها تركض، مجتازة قاعة الاجتماعات نحوها.

هرعت اليها ترفعها عن الأرض لتضمها بقوة. كانت الطفلة ذات شعر اشقر كثيف، تبدو صورة مصغرة عن أمها في كل شيء باستثناء عينيها الزرقاوين البراقتين كانتا تذكرانها يومياً بكلاي. ومدت الطفلة إليه يدين سمينتين.

حدق فيها بنظرات جائعة جعلت قلب جو يتوقف عن الخفقان. وظنت للحظات، أنه سيمسك بالاصابع الطرية. ولكنه انتفض مبتعداً فجأة، ثم قال بصوت اجش: «سنتابع هذا في الصباح. كوني من فضلك، في مكتبي الساعة التاسعة.»

قالت ثائرة: «سأحاربك، يا كلاي.»

ابتسم باستخفاف قائلاً: «انني في انتظار تلك المعركة.» وعندما لم تجب، مشى نحو الباب يفتحه وهو يقول: «يهمني جداً ان ارى نوع السلاح الذي في حوزتك. خصوصاً بعد ما بعت اسهمك إلى تشارلز ريدموند.»

كانت تظن أن في وسعها خداعه، راجية أن لا يكون على علم بالبيع ذاك. ولكن، يبدو أنه يعرف كل شيء، إلا حبها له

www.elromancia.com

وأن أليس هي ابنته. وعاد هوَ يقول: «الساعة التاسعة، لا تتأخري.»

قالت: «إذا كنت مصمماً على طردي من العمل، يا كلاي، فافعل ذلك الآن، إذ لا لزوم لأي مظاهر مسرحية.»

أجاب: «انني لا اهتم بما يعجبك كما... ان ابنتك نائمة تقريباً.»

نظرت إلى الرأس الصغير الأشقر الملقى على كتفها، ثم قالت: «لقد كان اليوم طويلاً.»

سألها: «وكيف تتدبرين أمرك معها؟»

أدهشها حدة الاهتمام في صوته، فقالت: «بنفس الطريقة التي تتدبر بها ألوف النساء العاملات امورهن مع اطفالهن، يا كلاي. حضانات الأطفال، الأسر، أو يأخذونهم معهن إلى العمل، كما حدث اليوم، عندما تفشل الأمور الأخرى.»

هنا قال بعنف، وكأنه ندم على لمحة الانسانية التي ظهرت في حديثه: «ظننت أنك اكثر حذراً من ان تقعي في هذا الشرك.»

قالت: «كلنا نخطىء، يا كلاي.» وأخذت تمرر يدها على رأس الطفلة وهي تضيف وكأنها تحدث نفسها: «لقد استطعت، على الأقل، أن اصنع شيئاً صحيحاً.»

نبهها إلى الواقع تنفسه العنيف المفاجىء. قالت: «يجب أن أذهب الآن.»

قال: «نعم، إنما من فضلك، تدبري أمرك مع الطفلة بالنسبة إلى الغد. ان هذا المكان ليس حضانة اطفال.»

استقبلتهما أمها بلهفة، دون أي سؤال. وبعد أن نامت

أليس، تكورت جو في مقعدها بمعطفها المنزلي امام النار، وابتدأت تدلي بأخبارها.

ارتشفت الكاكاو وهي تقول: «لقد عاد كلاي. وهو الرئيس الجديد لشركتنا.»

ارتفع حاجبا أمها وهي تقول بسرعة خاطفة: «وأنت طبعاً، ستستقيلين.»

قالت جو: «قد يطردني، فيريحني من هذا العناء.»

قالت الأم: «أوه، يا عزيزتي. لا اظن أن اعصابه تسمح له بطردك.»

قالت جو: «انهم يسمون هذا، هذه الأيام، إعادة بناء.»

قالت الأم: «آه لو استطيع الامساك به بيدي هاتين.»

قالت جو: «كلا، يا أمي، من فضلك. كل شيء الآن أصبح منتهياً ومنسياً. وهو هذه اللحظة، رئيسي في العمل. وهو أول شخص أراه في الصباح. وعندما اعلم ما يكمن في عقله، عندئذ، أقرر ما يلزم بالنسبة إلى مستقبلي.»

قالت الأم: «ألا تريدين أن تستمعي إلى نصيحتي؟»

أجابت: «لا حاجة لذلك. أظنني استطيع التكهن بها وهي، أن اهرب.»

قالت الأم: «حالا وبعيداً عنه، لقد اذاك يا جو. ولا أدري كيف، لأنك لم تجدي من المناسب أبداً أن تضعي ثقتك بي. ولكنني رأيت ما فعل ذلك بك. ليس في إمكانك ان تعاودي الكرة، فتتعرضين لمثل تلك المحن مرة أخرى. هذا إلى أن عندك الآن أليس لتفكري فيها. اتظنين أنه سيحاول أن يطالب بها؟»

قالت: «كلا.» وفكرت في أن أمها تستحق، دون شك،

ايضاح الأمور لها. فهي لم تسألها عما حدث بينها وبين زوجها. لم تنتقد شيئاً قط. ويكفي أن رأيها في زواجها السريع، ثبتت صحته. ولم تكن في حاجة إلى أن تقول: (ألم أقل لك هذا؟) ولهذا، كانت جو شاكرة جداً. وقالت: «ان كلاي يعتقد أن أليس هي ثمرة... ثمرة وقت ممتع امضيته مع سواه.»

سقطت من عينيها دمعة في الفنجان الذي بيدها، وهتفت أمها: «ماذا؟»

أجابت: «عندما سافر إلى كندا.»

قالت الأم: «إن الرجل احمق، كما انك مثله إذا أنت لم تطلعيه على الأمر. إذ أن عليه أمر العناية بالطفلة...»

قالت جو: «لا يبدو أنه ادرك شيئاً، لقد رآها هذا النهار.»

قالت الأم: «ولكن عينيها، يا جو...»

قالت جو: «ما كنت لآخذها إلى المكتب لو كنت اعلم أنه هناك. ولكن، لا بأس، فهو لم يلاحظ شيئاً. وليس هناك سبب يجعله يراها مرة اخرى.» ونظرت إلى امها قائلة: «هل تبقينها في رعايتك غداً؟»

قالت الأم: «إذا أنت عدت إلى البيت هنا، فلن تكوني في حاجة إلى من يرعى ابنتك أثناء غيابك ويمكنك أن تتابعي عملك، فأنت قد تفوقت فيه حقاً.»

قالت جو: «اتظنين ذلك؟»

أجابت الأم: «هذا ليس وقت الشكوك. لقد كان زواجك غلطة. ولكنك انتهيت منه الآن، وها أنت تتابعين طريقك. عليك أن تكوني على حذر، يا جو. أليس كذلك؟ إنه رجل خطر وقوي وعنيد.»

قالت جو: «نعم يا أمي. سأكون على حذر.»

قالت الأم: «لا داعي للقلق، يا جو، فأنا سأرعى أليس. وانني اكثر قلقاً عليك. فذلك الرجل...» ونظرت إلى ابنتها باهتمام وهي تتابع قائلة: «لماذا لا تأخذين اجازة؟»

قالت جو: «لا يمكنني ذلك.»

هزت الأم كتفيها وقالت: «كلا، هذا ما أظن. فأنت لا تسلكين ابداً الطريق السهل.» ونظرت إلى ثياب ابنتها باعجاب وهي تتابع. «انك، على الأقل، أصبحت انيقة في ملبسك.»

نظرت جو إلى صورتها في المرآة. كانت ترتدي بزّة مذهبة الياقة بينما التنورة مطبوعة بالأسود والأبيض. وكان هذا الزيّ من متجر شقيقتها. ولفت حول عنقها شالاً من نفس القماش، اومأت برأسها قائلة: «نعم يا أماه، انني أبدو أنيقة، فهذا اليوم بالذات لا يجب أن ارتدي الجينز.»

في مكتب الاستقبال في الشركة، سمعت صوتاً يخاطبها قائلاً: «الآنسة غرانت؟» ووقفت تنظر إلى المتكلم قائلة: «نعم.»

قال: «انني من مكتب شركة بنتاغون موتورز، وقد جئت لأجل سيارتك. هل يمكن أن استلم المفاتيح من فضلك؟»

نظرت إلى المفاتيح التي كانت ماتزال في يدها، تحتويها علاقة مدموغ عليها اسم شركة بنتاغون، التي كانت مسؤولة عن كل سيارات الشركة. لقد سبق وسمعت بحدوث مثل هذه الأشياء عندما يصرف الموظف من الخدمة ويكون عليه أن يسلم السيارة ليعود إلى المنزل بالباص.

قالت متلعثمة: «انها... يجب أن اخليها من حاجياتي اولاً.»

هز كتفيه قائلاً: «لا بأس إذا شئت. هل يمكنك ان تقومي بذلك الآن؟ ذلك أنه ليس عندي الكفاية من الوقت.»

تصلب جسمها وهي تقول: «طبعاً.»

مشت نحو موقف السيارات حيث فتحت سيارتها. ولم يكن فيها اشياء كثيرة. بعض الخرائط، حذاء القيادة... وانحنت تتناولها ورأت زجاجة حليب فارغة من زجاجات أليس.

سألها: «وماذا بالنسبة إلى صندوق السيارة.»

أجابت: «كلا، انه فارغ.» وأخذ الرجل ينظر إليها منتظراً التسليم. ناولته المفاتيح، ليصعد إلى السيارة مبتعداً بها بسرعة يمارسها بعض الرجال عادة في حضور السيدات. أو ربما كان يشعر بالاحراج لأخذ السيارة منها، كما تشعر هي. وعادت إلى المكتب، ثم صعدت إلى الطابق الأول.

أشارت السكرتيرة إلى الباب قائلة: «ادخلي رأساً، فقد رآك عند وصولك، وهو في انتظارك الآن.» هكذا إذن... لقد كان يراقب ذلك الاستعراض في موقف السيارات. واستقامت، ثم فتحت الباب. والقى عليها نظرة قصيرة من فوق اوراق بين يديه، ثم أشار إليها لتجلس، قائلاً: «اجلسي، يا جوانا. لن أتأخر اكثر من دقيقة.» وتابع الكتابة بيد سريعة قوية الحركة، مما اعطاها فرصة لملاحظة بعض الشيب الخفيف في سالفيه. وما لبث ان ترك القلم، واعتدل في جلسته وهو يقول: «اتريدين قهوة؟»

قالت: «كلا، شكراً. لست في حاجة إلى مثل هذا التكليف. وأنا لن اجلس امامك لكي تمعن النظر إلي، ويكفي كل هذا

الاذلال في يوم واحد. فقل الآن ما عندك، ثم دعني اذهب في طريقي.»

عبس هو قائلاً: «اذلال؟ من أية ناحية؟»

وقفت قائلة: «أتريدني ان أهوّن عليك الأمر بتقديم استقالتي؟»

قال: «اجلسي من فضلك. ليس من عادتك ان تصابي بهذه الهستيريا.»

قالت: «ذلك لأنني لم أرفض من الخدمة من قبل.»

رمقها بنظرة اعادتها إلى كرسيها، وهو يقول: «انني لم اطلب منك الحضور كل هذا الطريق لكي أرفضك من الخدمة، كما قلت بمثل هذه الفظاظة.»

قالت: «ولماذا إذن، أخذت مني السيارة؟»

نظر إليها بذهول وقال: «اخذت منك السيارة؟»

قالت: «هل استمتعت بذلك الاستعراض؟ لقد فهمت من السكرتيرة أنك كنت تراقبني من النافذة.»

قال: «ما الذي تتحدثين عنه؟»

قالت: «لقد جاءني رجل في غرفة الاستقبال من شركة البنتاغون... كان في إمكانك أن تنتظر قليلاً، على الأقل.»

عند ذلك، أوضح الأمر إذ قال: «لقد كنت اشتكيت أمس من تعطل الهاتف في سيارتك. وقد طلبت من تلك الشركة أن تصلحه لك بأسرع وقت ممكن. ولم تكن لدي فكرة انهم قادمون اليوم.»

حدقت فيه مذهولة وهي تقول: «هاتف السيارة؟ ولكن لماذا لم يخبرني ذلك الرجل بذلك؟»

أجاب: «ربما ظنك عالمة بالأمر. والآن، لقد انتهينا من

سوء التفاهم هذا، والأفضل أن ننتقل إلى الأمر التالي. لقد أحضرتك من موقع البناء، ياجو، لأنني اريدك أن تعملي هنا، في المكتب.»

قالت: «كلا.» وما كان لها أن تقول شيئاً، إذ تابع هو كلامه: «لقد اثبت كفاءتك بكل طريقة ممكنة، ثم انك مواظبة ويعتمد عليك حتى في اقسى الظروف. ومن بين سطور تقاريرك الاسبوعية، لم تكن الشهور الأخيرة في برينغلاس بالسهلة. وبالرغم من محاولات بيتر في تشويه صفحتك، فقد انتبهت تماماً إلى أن العمل، عندما استلمت أنت مسؤوليته، كان متخلفاً عشرة اسابيع.» وعاد يستقيم في جلسته ليرمقها من تحت اهدابه، ثم عاد يقول: «اتعلمين أنه متلهف على طردك من العمل؟»

قالت: «ان ذلك لا يدهشني.»

انتظر أن تستمر في الايضاح، ولكنها لم تزد. إذ لا شك في أنه قد أخذ فكرة مسبقة عن سبب رغبة بيتر في التخلص منها، ومهما قالت هي فلن يغير رأيه.

أخيراً قال: «كلا. لا أظنك كذلك. ولكن أمله سيخيب. على كل حال، إذا كنت تريدين التقدم في عملك فستكونين في حاجة إلى شيء من الخبرة الادارية.»

فكرت، ماذا يعني بقوله هذا عن التقدم في العمل؟ ثم قالت: «وماذا لو فضلت البقاء في مكان البناء.»

قال: «في هذه اللحظة، ليس أمامك خيار في الأمر.»

قالت: «في إمكاني أن اترك الشركة.»

قال: «ليس الأمر سهلاً، هذا الحين. فقد قلت انك في حاجة إلى العمل.» ونظر إليها مفكراً ثم تابع: «إنني اتساءل

عن نوع الشهادة التي سيعطيك إياها لويد في ما لو أردت الذهاب.»

قالت: «انه لن يجرؤ.»

قال: «هل انت جاهزة للمخاطرة؟» كان يتعمد استفزازها. ولكنها كانت مصممة على عدم ابتلاع الطعم.

تابع كلامه وقد سره سكوتها: «لقد استطعت اثبات مقدرتك على العمل هناك، والآن، حان الوقت لكي تثبت الآنسة غرانت مقدرتها على العمل في مجال آخر غير مجال الاسمنت. ام لعلك خائفة من التجربة؟»

الفصل السادس

كان كلاي يتحداها، مجبراً إياها على أن تصمم على أمر يغير مجرى حياتها. كان يستعمل معها حرب اعصاب لكي يجعلها تبقى تواجهه. ولم تكن جوانا بالتي تهرب. وأجابت عن سؤاله الساخر والبادي في عينيه بابتسامة مصطنعة على شفتيها وهي تقول: «ما الذي تقدمه لي بالضبط، يا كلاي؟»

لمع الرضى في تلك العينين الزرقاوين اللتين لا قرار لهما، لتتلاشى ابتسامتها. فقد كان من القسوة ان تجلس قبالة ذلك الرجل الذي تغلغل حبه في ذاتها والذي جعل من أيامها حافلة بالألم الذي كانت تحاول أن تهزمه بإغراق نفسها في العمل إلى حد الانهيار. لقد قال أبوه مرة، في يوم زواجهما، ان ابنه دوماً يحصل على ما يريده. وهي تتساءل الآن، في توجس، عما عساه يريد منها.

قال: «ان عندي وظيفة لك في قسم التخطيط.»

هتفت: «التخطيط؟» وتجهم وجهه للهجتها المتعالية، وقال: «يمكنك أن تدلي برأيك عندما انتهي من حديثي تماماً. فاهدإي واستمعي إلى ما اعرضه عليك قبل ان ترفضي عرضي هذا.» وابتدأ يتكلم بينما لزمت هي الصمت وقد اذهلها ما سمعت، ووجدت نفسها تنفذ بالضبط ما طلبه منها. وعندما انتهى من حديثه، مال بظهره إلى الخلف في كرسيه وهو يقول: «يمكنك الآن أن تتكلمي.»

قالت: «انني.. لا أدري ماذا أقول.»

قال وقد التوت شفتاه بشبه ابتسامة: «حسناً، ها قد حصلت أخيراً على شيء ما. هل افهم من هذا ان عرضي قد نال اعجابك؟»

لقد نال هذا العرض اعجابها طبعاً. فهو يعرفها جيداً، ويعرف بالضبط ما الذي ينال قبولها. لقد قدم اليها احلى ما كانت تحلم به، ولكن، قبل ذلك، عليها أن تمضي ستة اشهر في مكتب التخطيط لتكون يومياً تحت نظره، وعند طلبه في أي وقت. ورنت في أذنيها نصيحة أمها لها بأن تهرب منه بأسرع ما تستطيع. ولكنها كانت في حاجة إلى وقت تفكر فيه، ولهذا سألته معترضة: «إنه عرض طويل الأمد، يا كلاي. ما الذي حدث إذن بالنسبة إلى إعادة البناء؟»

قطب حاجبيه لحظة ثم قال: «إعادة البناء؟» وانحنى نحوها، فابتعدت عنه، وتابع: «إعادة البناء مؤجلة بصفة مؤقتة، يا جو.» حتى عبر ذلك المكتب الفسيح، كان التهديد واضحاً وهو يقول: «إلى ان احصل على جوابك.»

سكتت فترة طويلة. وسمعت رنين هاتف في مكان ما، وفي الممر خارج القاعة ارتفعت ضحكات مرحة. وفكرت أن خارج هذه الجدران الأربعة كان الناس يتابعون اعمالهم دون أن يخطر في بالهم شيء عن هذه المأساة التي كانت تدور في مكتب كلاي والتي قد تؤثر على حياتهم اجمع.

أخيراً قالت: «كم لدي من الوقت لأفكر بذلك؟»

قال: «ليس وقتاً طويلاً. إن هنري دبلداي، وأظنك تعرفينه، سيكون هنا الساعة الحادية عشرة. وعليّ أن أعرف جوابك قبل حضوره.» ولم تفصح عيناه عما يدور في

www.elromancia.com

ذهنه. وعندما تكلم، لم يكن في صوته أثر لذلك الدفء الذي استطاع ان يغمرها بالسعادة طيلة اسابيع فقط ثم تابع يقول: «في آخر مرة أردت الحصول على هذه الشركة، ياجو، أفسدت أنت عليّ كل شيء. والآن، سأجعلك تدفعين ثمن ذلك.»

شعرت بالدم يجمد في عروقها. إن الرجل عديم الرحمة الجالس امامها كان زوجها، ووالد ابنتها، الرجل الذي احبت. وفاجأتها غصة. انها ما زالت تحبه رغم تحطيمه قلبها وهو لا يزال مصمماً على معاقبتها لشيء لم تقترفه. تمالكت نفسها. كان من الضروري أن تخفي مشاعرها، إذ انها، بهذا تتجنب الهزيمة الكاملة، على الأقل. ورفعت إليه عينيها الصافيتين تحدقان في عينيه قائلة وقد تملكتها رجفة بسيطة: «لقد كنت مصمماً على تدمير شركة ريدموند. فقد اخبرتني بنفسك أنك لم تعد تهتم بالبناء والاسمنت.»

قال: «ان لذلك فوائده. فأنا يسرني دوماً أن اضم تحت جناحي شركة اخرى ذات فائدة.»

قالت: «حتى ولو اضطرك الأمر إلى الزواج مني لكي تحقق غرضك؟»

لم يكن من الغريب إذن، أن يهجرها بهذا الشكل، وربما لم يكن في نيته ابداً البقاء معها، منذ البداية.

أجاب: «انها غلطتي. ولكنني الآن امنحك فرصة لانقاذ نفسك، إذ ان مصير شركة ريدموند هو في يدك، مرة اخرى يا جوانا.» وألقى نظرة على ساعته متابعاً: «ان الوقت يمر. ماذا أفعل؟ انقذها أم القي بها بعيداً؟»

قالت: «انك المستشار يا كلاي. ما الذي تنصح به؟»

أجاب: «ان وضعي في غاية السعادة، إذ انني لن أخسر.» وهز كتفيه دون اكتراث وهو يميل بظهره إلى الخلف متابعاً: «والخيار الآن هو لك.»

قالت: «لا يبدو ثمة خيارات أخرى امامي، إذ لا يمكنني أبداً أن اجلس ساكنة، بينما تلقي أنت بشركة ريدموند إلى الذئاب. لقد قبلت عرضك.»

كانت ابتسامته في منتهى البرود وهو يقول: «كنت اعرف أن في إمكاني الاعتماد على ولائك الأعمى لشركتك. يجب أن يكون عندك مثل هذا الولاء بالنسبة للناس احياناً.»

أجفلت، ثم قالت: «لست عمياء تماماً. فأنا عندي شرطان، يا كلاي.» وكان اليأس ظاهراً في صوتها.

قال بسخرية لاذعة جعلت الدم يتصاعد إلى وجنتيها: «وما الذي جعلك تظنين أنك في وضع يمكنك فيه وضع الشروط؟» ولكنها رفضت الهزيمة وهي تقول: «وهذان هما.» ورفع حاجبه مشيراً إليها أن تتابع حديثها، تابعت قائلة: «إذا كان لنا أن نعمل في نفس المكان، يا كلاي، فإن الماضي يجب أن يصبح منسياً.»

انتفخ عرق في صدغه وهو يجيبها بعنف: «وهل نسيته أنت؟ هل كان في حياتك كثير من الرجال مما انساك ذكرى وجودك بين ذراعي؟»

كلا، انها لم تنسَ. لم تنس لحظة واحدة. حتى أنها، وهو يتكلم، شعرت بالدم يتصاعد إلى وجهها عندما تذكرت ما أرادها أن تتذكره. ويبدو أن نتيجة كلامه قد بعثت الرضى في نفسه، إذ عاد يقول: «وما هو الشرط الثاني؟»

www.elromancia.com

«أريد استعادة أسهمي في الشركة، بإعادة شرائها.»

بانت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول: «وهل في إمكانك الدفع؟»

أجابت: «مازلت احتفظ بالمبلغ الذي قبضته ثمناً لها.»

كان المفروض أن تشتري بذلك المبلغ منزلاً لأليس طفلتها. وقد تسرعت الآن بهذا الطلب في محاولة لانقاذ كرامتها التي حطمتها مطالبه المهينة، ان كلاي تاكيراي الآن متحكم في كل شيء، وهي تريد أن توقفه عند حده. ولكنه ما كان ليتزحزح.

قال: «لقد أخبرتني مرة انك لا تعرفين شيئاً في إدارة الأعمال، ياجو. ولهذا أظن أن اسهم الشركة هي اسلم في الوقت الحاضر، بين يديّ.»

قالت باستماتة: «وماذا عن الشرط الآخر؟» وتشابكت نظراتهما لحظة، ثم وقف قائلاً: «سأفكر في الأمر.»

وقفت بدورها وهي تقول: «لا تنس ذلك.»

فأومأ برأسه قائلاً: «إذا شئت، ولكن، ربما من الأسلم عدم ايقاظ الكلاب النائمة. والآن، هيا بنا إلى مكتب التخطيط لكي اعمل على استقرارك فيه.» ومد يده يمسك بذراعها، فانتفضت بعصبية للمسته، وقد شعرت بالخوف من تأثيره عليها الذي ما زال في إمكانه أن يسارع من خفقات قلبها. ولكنه شدد قبضته متجاهلاً ردة فعلها.

وحاولت ان تبدد تأثيره عليها بمحاولة الايحاء إلى نفسها بأن هذه التأثرات ما هي إلا تغيرات كيمائية في الجسم، ولا شيء غيره، ولكن هذه الايحاءات لم تخفف من تسارع تلك الخفقات على كل حال.

قالت بسرعة: «انني اعرف الطريق.»

أجاب: «لا أشك في ذلك.» وعلمت هي عندئذ أن لا فائدة من الاحتجاج، خصوصاً مع كلاي وعندما كفت عن المحاولة، تاركة له أن يقودها إلى المكتب، قال يحادثها: «طبعاً إنك تريدين حاجياتك من برينغلاس حيث كنت تعملين. وأظن أن لديك الكثير من الأشياء هناك.»

قالت موافقة دون تفكير: «عندي الكثير فعلاً، وأكثره للطفلة أليس.»

سألها: «هل أرسل شخصاً يحضرها لك، أم تفضلين استعارة سيارة فان واحضارها بنفسك؟»

أجابت: «عليّ أن اعود إلى هناك بنفسي، إذ ليس من اللائق أن اترك السيدة رايس دون كلمة شكر لكل الخدمات التي كانت تؤديها لي ولأليس.»

سألها: «أظنك في حاجة إلى يومين لذلك.»

أجابت: «نعم.»

وقف وسألها: «وهل سترعى امك... أليس؟»

أجابت: «نعم، وهذا سيجعلها سعيدة.»

بدت عليه الدهشة. وشعرت هي بالراحة لوصولهما هذه الاثناء، إلى قسم التخطيط، وحتى بعد ذهابه، وبقائها وحدها تفكر بوضوح مرة اخرى، ادركت أنه لم يوافق، في الواقع، على أي من الشرطين.

انتظرت الأم رقاد الطفلة، قبل أن تبدأ محادثتها مع ابنتها قائلة: «حسناً؟»

أجابت جو: «انني اعمل الآن في وظيفة جديدة في قسم التخطيط. وسأعمل في المكتب فترة.»

www.elromancia.com

قالت الأم: «أن هذا العمل لا أظنه يوافق ذوقك. هل ستقومين به حقاً؟»

أجابت: «انه ليس كما كنت اقوم به اثناء حملي باليس.» ومطت شفتيها لذكرى الأسابيع التي كانت تعمل فيها خلف لوح التخطيط، وتابعت تقول: «سأعمل في المشروع الجديد الكبير، وقد وعدني كلاي، بعد ذلك، بوظيفة ممثلة الشركة للأعمال المؤقتة.»

قالت الأم: «يا للحظ الحسن.» ولمحت جو وميضاً في عيني أمها، سرعان ما انطفأ لتسألها قائلة: «وما الذي يريده مقابل هذا؟»

قالت بحدة لاحظتها هي نفسها وكأنها تريد ان تحمل نفسها على الاقتناع: «لا شيء. انها فرصة خيالية، وهذا كل شيء.»

قالت الأم: «إذاً، فستواصلين العمل معهم؟»

أجابت جو: «ظننتك ستتحمسين لهذا الأمر وتشعرين بالسرور. هل يمكنك أن تتحملينا، أنا وأليس، أسابيع قليلة إلى أن اجد مكاناً نسكن فيه؟»

قالت الأم: «انك تعرفين انكما يمكنكما البقاء هنا قدر ما تشائين. ولكنني غير متأكدة من حكمة هذا. هل يمكنك التصرف؟»

قالت جو متسائلة: «التصرف؟»

قالت الأم: «هيا، ياجو، إنك لا تفصحين عن نفسك. ولكنني رأيت ما احدثه انفصالك عن كلاي. هل يمكنك حقاً نسيان ذلك؟» ولما لم تسمع جواباً، تابعت تقول: «وهل في إمكانه هو؟»

أجابت جو: «انني وكلاي اصبحنا في طيات التاريخ.»

هزت الأم كتفيها قائلة: «وهكذا كان انطونيو وكليوباترا. حسناً، انها خطوة على السلم. انما تذكري انني انذرتك. ابقي بعيدة عنه.»

أجابت جو: «سأذكر هذا. أوه، سأستعير سيارة فان لأذهب إلى برينغلاس وأحضر أمتعتي. هل سترعين أليس ام آخذها معي؟»

قالت الأم: «دعيها معي، لأتمكن من تدليلها دون أن تكوني موجودة لتعبسي في وجهي.»

التفت جو بشال أسود دافىء من الصوف، تحته سترة حمراء متألقة، وسمعت صوت بوق السيارة من الطريق، فأخذت حقيبتها، وقبلت أليس ثم احتضنت أمها، وهي تقول: «قد اعود هذه الليلة إذا استطعت، فهذا يعتمد على حالة الجو.»

هرعت جو نحو البوابة، ثم فتحت باب الفان. «كلاي؟» وتراجعت إلى الخلف بحركة لا إرادية. ولكنها تمالكت نفسها ثم قالت باسمة: «انه لطف منك أن تحضر السيارة بنفسك.»

أجاب: «ليس في ذلك أي إزعاج. إن امك تلوح بيدها، ياجو. اتظنينها قد رأتني؟ هل عليّ ان الوح لها بيدي رداً عليها؟»

نظرت جو لترى أمها من النافذة. وقالت: «كلا.» وفكرت في أنه لو رأت أمها كلاي فمن المؤكد أنها ستفترض الأسوأ. ولوحت لها بنفسها، بينما مط هو شفتيه بابتسامة صغيرة حانقة وهو يقول:

«يا للمشهد المؤثر. والآن، ادخلي فأنا مستعجل.»

صعدت إلى السيارة، ثم سألته: «ولماذا انت هنا؟ إن الشركة لا ينقصها سائقون بالتأكيد.» عبست وهي تراه يترك الطريق الفرعي إلى الطريق العام، وقالت: «ليس هذا هو الطريق المؤدي إلى المكتب.»

أجاب: «ما أشد فطنتك. ولكنني كنت على كل حال، ذاهباً إلى برينغلاس. وبدا ان في ذهابنا منفردين اسرافاً في الوقود لا ضرورة له. كما أن حاجياتك لا تستوعبها سيارتي الأوستن.»

استدارت إليه قائلة: «هل أنت آت معي؟ لقد تعمدت هذا التصرف. كيف امكنك ذلك؟»

أجاب: «بسهولة، لا أظنك فكرت بأنني احضرتك إلى المكتب لرقة قلبي فقط، أليس كذلك؟ إنك ستحصلين على الترقية في النهاية، ولكن، في نفس الوقت لا تتوقعي ان تمضي وقتاً ممتعاً، خاصة مع زملائك الرجال.»

شهقت قائلة: «انك عديم القلب.»

قال: «أجل؟» وتوترت شفتاه لحظة، ثم عاد يقول بابتسامة متصنعة: «أجل، لم يعد عندي قلب. ولكنني مازلت اذكر كيف كان شعوري عندما كان عندي قلب.»

قالت آمرة: «أعدني إلى البيت في هذه اللحظة.» ولكنه تجاهلها. ونظرت هي حولها بعجز. كانا يسيران بسرعة في طريق السيارات العام، ومازال امامهما، للوصول إلى الموقف التالي، أميال عديدة. وكانت متأكدة من أنه لن يتوقف حتى ولو توسلت إليه.

سألته: «لماذا تفعل هذا؟» ثم تصاعد الاحمرار إلى

وجهها. ولم تستطع التعبير عن مدى الاضطراب الذي كانت تشعر به. وتابعت قائلة: «ما الذي تريده مني؟»

أجاب: «ولماذا المفروض أنني أريد شيئاً؟ لقد سبق ونلت كل شيء.»

قالت: «انني.. انني لا أريد الذهاب إلى برينغلاس معك.»

قال: «هذا لا يدهشني، ولكن الطريق طويلة وليس في نيتي تركك تبيتين في الطريق ليلاً. وكوننا نتناوب القيادة معاً، يمكننا العودة في نفس الليلة.»

سارا فترة بصمت، ولكن، عندما خف زحام السير، ابتدأ يسألها عن العمل. وبدا في اسئلته كرجل اعمال، واقعياً تماماً مما جعلها تستجيب له بشكل طبيعي.

قال اخيراً: «لا بد أن الأمر صعب بالنسبة إليك، ما دام مدير المشاريع اعتاد على تعاطي المشروب اثناء الفطور بدلاً من الشاي.»

حدقت إليه. كان على علم بكل شيء. فهي لم تقل شيئاً قط، حتى ولو بمجرد الاشارة إلى هذه المشكلة.

قالت: «لا يمكنني أن اقول شيئاً، إذ انني لم اشاركه الفطور قط.»

قال: «لم تفعلي؟» ولكنها رفضت، باحتقار، هذا النقاش. هز كتفيه بعدم اكتراث، وكانا قد اقتربا من الجسر، فقال: «ان الحديث عن الفطور ذكرني بمرور وقت طويل على ذلك.»

ألقت نظرة إلى ساعتها قائلة: «مازال الوقت باكراً لموعد الغداء.»

قال: «ما زال الوقت مناسباً لفطور ثانٍ، كما اظن.»

www.elromancia.com

اوقف السيارة في موقف السيارات للخدمات، ثم استدار إليها قائلاً: «لقد مضى وقت طويل مذ تناولنا الفطور معاً، يا جوانا. ولكنني أحب المجازفة، إذا شئت.»

قالت: «المجازفة؟ أية مجازفة؟»

قفز من مقعده، ثم استدار يفتح لها الباب قائلاً: «من يدري.»

قالت محذرة: «كلاي.» وفجأة، شعرت بالوحدة معه.

ضحك بهدوء قائلاً: «حسناً، هل ستأتين معي؟ ام انك ستبقين مكانك متمنية لو أنك جئت معي؟»

قالت: «سآتي معك، طبعاً.»

حملها لينزلها إلى الأرض حيث بقيت يداه لحظة، حول خصرها. بدا لها سهلاً جداً أن تضع ذراعيها حول عنقه وتقبله. فهي مازالت تريد ذلك رغم كل شيء. ومازال بينهما ذلك الانجذاب السريع المتبادل، تماماً كالحديد والمغناطيس. ولكنها ما لبثت أن شدت نفسها إلى الخلف، رافعة ذقنها وهي تشد معطفها حولها تقاوم بذلك الهواء البارد أو أي شيء آخر... ثم قالت: «انني، في الحقيقة، جائعة جداً.» وكانت، بذلك، تتظاهر بشجاعة هي أبعد الناس عنها.

ملأ طبقيهما بالطعام، ثم جلسا إلى مائدة تشرف على جسر سيفرن. وكان برجا الجسر الضخمان يعلوان فوق الضباب المنخفض الذي كان يغطي مصب النهر.

قالت: «لقد احببت دوماً منظر هذا الجسر. إنه رائع الجمال عندما لا يكون في استطاعتك أن ترى سيارات الشحن والاكشاك التي تجمع رسوم العبور.»

نظر كلاي إلى الجسر دون حماس وهو يردد: «رائع الجمال؟ إنه يؤدي وظيفة معينة ولكنه لا يمثل رأيي في الجمال.» استدار يواجهها وهو يتابع: «ولكن ذلك لا يدهشني لأننا نحاول ان نختلف حول كثير من الأشياء.»

قالت وهي تحاول تركيز اهتمامها على طعامها: «تعني (حاولنا) أي الفعل الماضي.»

لكن كلاي لم ينه حديثه بعد، فقال: «ان امامي بعض الصعوبات بالنسبة لاتفاقنا، يا جوانا.»

قالت: «انك لا تحاول بما فيه الكفاية.»

مد يده يمسك بيدها في الوقت الذي كان عليها أن تجذبها لكي تتجنب النار التي استعرت من جراء لمسته. وأخذ يلمس ببطء، المحبس الذهبي الذي وضعه في اصبعها يوم زفافهما. وعندما رفع عينيه إليها، كانت عيناه غائمتين، وهو يقول: «يبدو أنك تدبرت امرك جيداً.»

أجابته بكل ما استطاعت من برود وهي تجذب يدها من يده: «لقد اصبحت عادة.»

وصلا إلى برينغلاس بعد الساعة الثانية عشرة واسرعت السيدة رايس من الحديقة لمقابلة جو بينما كانت تترجل من سيارة الفان.

قالت: «ادخلي من البرد.»

بقي كلاي في السيارة وهو يقول: «سأعود في ما بعد. فإذا استطعت تجهيز كل شيء لتحميله في السيارة، فسنعود مباشرة.» ثم قطب جبينه قائلاً: «اظنك قلت ان الثلوج متراكمة في هذا المكان؟»

قالت السيدة رايس: «كان ذلك في الأسبوع الماضي. وقد

استمر المطر في الهطول منذ ذلك الحين. ولكن الثلج سيعود للتراكم بعد وقت قصير.»

سألته جو: «انك لا تعرف الطريق. هل تريدني ان آتي معك؟»

قال وهو يبتعد: «سأعثر على طريقي فإن عندك الآن ما يكفيك.»

امضت ساعات في حزم الأمتعة، ثم فككت اجزاء سرير الطفلة، وأخذت تنقل الأمتعة إلى اسفل الدرج الضيق. وأخذ هذا من وقتها اكثر مما توقعت، وعندما عرضت عليها السيدة رايس شيئاً من الطعام، قبلت ذلك مسرورة.

بعد ذلك، دفعت إليها إيجار المنزل، ثم قدمت إليها الهدية التي احضرتها لها والتي كانت شالاً كبيراً مزخرفاً وقفازين سوداوين من الجلد. ثم، جلستا قرب النار تنتظران كلاي.

قالت السيدة رايس: «ان صغيرتك تشبهه بعينيها.» وقطبت جو حاجبيها، ذلك لأن السيدة رايس لا تعرف شيئاً عن علاقتها بكلاي. ومع هذا لاحظت الشبه بينهما.

قالت تجيبها: «اننا لسنا... معاً، لقد اشترى كلاي الشركة التي اعمل فيها، وهذا كل شيء.»

قالت المرأة: «هذا امر مؤسف.»

قالت جو: «أرجو أن لا تذكري شيئاً عن هذا الأمر.»

نظرت المرأة إلى النافذة قائلة: «كلا، لقد فهمت. ولكن الظلام ينتشر الآن ومن الأفضل أن اسدل الستائر.»

أخذت جو تنظر إلى الساعة من وقت إلى آخر بقلق. وكانت الساعة تقارب السادسة عندما اندفعت نحو النافذة

أثر سماعها صوت عجلات السيارة فوق الحصى خارج البيت.

ادخلته السيدة رايس ثم اشارت إلى النار قائلة: «اجلس هناك ودفىء نفسك. وسأحضر لك بعض الحساء.»

قال: «هل الجو بهذه البرودة على الدوام، هنا؟»

كان يفرك يديه أمام لهب المدفأة وهو يقول ذلك.

ابتسمت جو قائلة: «ما زلنا في شهر تشرين الثاني - نوفمبر، والأسوأ لم يأت بعد.» وتركته يتناول الحساء، واخذت تضع الأمتعة في السيارة بسرعة لتجنب الهواء المثلج. واخيراً، عادت لتقول: «لقد انتهى كل شيء، يا كلاي، والأفضل ان نشرع في السير، فقد بدأ، المطر يهطل.»

قبل ان يذهبا، قالت صاحبة البيت: «لقد جهزت لكما ترمس يا جو، فقد تحتاجان إلى شراب دافىء.»

احتضنت جو المرأة قائلة: «وداعاً، سأحضر أليس اثناء فصل الصيف لكي تراك.»

ابتسمت المرأة قائلة: «تعالوا في وقت جز صوف الخراف، فذلك سيسرّها.» ونظرت إلى كلاي مبتسمة له: «إنكم جميعاً على الرحب والسعة.»

امسكت جو انفاسها. ولكن بدا على كلاي انه لم يحمّل كلام المرأة اي معنى خاص وهو يشكر المرأة على ضيافتها.

تطوعت جو قائلة: «سأقود السيارة بنفسي.»

قال هو: «كلا. سأقود أنا في هذه الأنحاء، وعندما نصل إلى الطريق العام، تستلمين أنت القيادة.»

ارادت أن تجادله، فقد كانت تعرف الطرق في هذه

www.elromancia.com

الأنحاء اكثر مما يعرفها هو. ولكنه كان قد صعد إلى مقعد القيادة وأخذ يشد الحزام حوله، قائلاً: «هيا بنا.» وشعرت بنفور غريب من أن تستسلم لمشيئته مرة اخرى. ونظرت إلى السيدة رايس خلفها والتي كانت تقف في دائرة النور المنبعث من باب المنزل المفتوح والذي مثل لها الأمن والخلاص. ثم رفعت يدها وصعدت إلى السيارة.

أدار المحرك، ثم سار متجنباً الحفر في الطريق قدر المستطاع إلى أن اجتاز فناء المزرعة، وعندما تخطى الطريق الضيق، بدا وكأنهما الوحيدان في هذا العالم.

مضى عليهما في السير حوالى العشرين دقيقة، وكان كلاي يسير ببطء في الظلام، عندما تحول المطر فجأة إلى ثلج، ولم يستقر الثلج في الطرق، ولكن التلال ابتدأت تتألق بالبياض، بينما جعل الثلج المتساقط من الصعب التمييز بين نهاية الطريق وبداية التلال الصخرية.

سألته جو بقلق: «أيجب علينا العودة؟»

فنظر إليها قائلاً: «سنكون على ما يرام...»

صرخت عندما اجتازت شاة الطريق ثم توقفت فجأة مذعورة، أمام نور السيارة. وحاول كلاي ان يتفاداها ليصعد صوت مفاجىء من اسفل السيارة. وتفوه بشتيمة وهو يقفز من السيارة ليرى ما حدث.

سألت: «ماذا هناك؟»

وقف وهو ينفض الثلج عن ركبيته قائلاً: «يمكنني أن ادرك ما حدث دون الحاجة إلى مصباح يدوي. ولكنني اظن الأمر سيئاً، إذ يمكنني ان اسمع شيئاً يسيل.» وبدا عليه التفاؤل، بينما بدا عليها الضيق، وأخذت تنظر حولها. لم

يكن ثمة نور يرى. كما أن أية سيارة لم تمر بهما منذ خلفا المزرعة وراءهما.

ورأته يبتسم في النور المنبعث من مصباح السيارة الأمامي وهو يقول: «شكراً على الترمس الذي ملأته لنا السيدة رايس. إذ اشعر بأننا سنكون في حاجة إليه قبل الصباح.»

قالت ذاهلة: «الصباح؟ يمكننا بكل تأكيد أن نحاول الوصول إلى أي مرآب.» كان تصورها قضاء الليل مع كلاي وحدهما يوهن من عزيمتها.

أجاب: «لا أظن ان في إمكاننا الذهاب إلى أي مكان. عودي إلى السيارة إذ ليس ثمة فائدة من أن تتحملي البرد إلى أن اجد المصباح اليدوي.» أطاعته دون اعتراض. فقد كان الهواء بارداً والثلج قد بلل وجنتيها اللتين اخذت تفركهما وهي ترتجف.

سألها: «كم تبلغ نسبة الحظ في مرور سيارة بجانبنا قبل الصباح؟»

أجابت: «انها ليست بالنسبة العالية. فهذه طريق فرعية تقود إلى حيث تقطع الأخشاب في الغابات. وبعد عدة أسابيع لن تستطيع ان تتحرك لشدة ازدحام السائقين. ولكنها مقفرة نوعاً ما، حالياً.» ونظرت إلى العاصفة الثلجية وهي تقول: «دعنا نتكلم بصراحة. إذا لم يكن ثمة حاجة بك للذهاب إلى أي مكان، فهل تغامر بالخروج في ليلة كهذه؟»

أجاب: «بصراحة، كلا. وفي الواقع، لا أدري ما الذي أصنعه هنا في ليلة كهذه في الوقت الذي يكون في إمكاني أن اجلس امام المدفأة في منزل السيدة رايس.»

www.elromancia.com

قالت: «انني آسفة.» وبدأت ترتجف. فقال وهو يضع ذراعيه حولها: «أوه ما هذا ياجو؟ إن الأمر ليس بهذا السوء.»

كانت ذراعاه قويتين، وصوته مقنعاً، وشعرت بالأمان وهو يشدها إلى صدره الدافىء.

قالت: «حقاً؟» ونظرت إليه، ثم حولها وقد خالت، للحظة، أن الأمر قد لا يكون بهذا السوء فعلاً.

ابتسم قائلاً: «انني متأكد من أننا سنجد شيئاً نقوم به ليدفئنا.»

صدمت إذ تذكرت أين هي، ومن هو الذي يضع ذراعيه حولها. لم يكن ثمة أمان هنا. وضحك بلطف حين قفزت متراجعة إلى الخلف، ولكنه لم يحاول استبقاءها. وقال: «في هذه الحالة، من الأفضل أن اطلب المعونة.» وأخرج من جيبه هاتفاً نقالاً وضغط على رقم.

عندما انتهى، سألته: «كم سيستغرق ذلك من وقت؟»

«قالوا عشرين دقيقة.»

«انهم دوماً يقولون عشرين دقيقة، كم من الوقت في الحقيقة؟»

قال: «يبدو لي أن الأمر لن يكون اقل من ثلاث أو أربع ساعات.»

عندما احست بأنه يقول الحقيقة، غاص قلبها بين ضلوعها. وقالت: «ربما نستطيع، ان نقوم بعمل ما.»

«ماذا بالضبط؟»

قالت ساخطة: «يجب ان نرى أين العطل.» وفتحت الصندوق الصغير أمام المقعد واخرجت مصباحاً يدوياً ناولته إياه.

قال: «أوه، كلا. إذا كنت حريصة بهذا الشكل فتعالي واحملي هذا المصباح اللعين لكي أرى.»

لم تنتظر دعوة اخرى، ففتحت الباب ونزلت بسرعة. كان الطريق مغطى بالثلج. واطلق كلاي شتيمة عندما انزلقت قدمه، وصرخ فيها محذراً، ولكن بعد فوات الأوان إذ انزلقت قدمها، وقبل ان تتدارك نفسها، كانت تتدحرج من فوق حافة الطريق إلى الخندق المغطى بالثلوج.

صرخ: «جو.» وكانت قد استلقت لحظة في الظلام وقد انقطع نفسها وتوترت اعصابها إلى درجة لم تعد تستطيع معها أن ترد على ندائه، وعاد ينادي: «جو.. أجيبيني، هيا.» وتناهى إليها صوته القلق. ولكن كل ما استطاعت ان تقوم به، هو ان تبقى مستلقية بهدوء وهي تجاهد لكي تستطيع التنفس. ولكن صوت اقدامه وهو يسحق الثلج مقترباً منها، جعلها تتحرك، حاولت ان تتكلم قائلة بصوت اجش: «انني بخير. ابق انت هناك من فضلك.» ولكنه اقترب ليقف بجانبها. وكانت ماتزال متمسكة بالمصباح، ومدّ يده يأخذه من بين اصابعها الحذرة يريحها منه، ثم اناره بسرعة فوق وجهها.

أخذ يتحسس ذراعيها وساقيها بسرعة وهو يسألها: «هل ثمة كسر في أي مكان؟»

هزت رأسها قائلة: «كلا. بل مجرد رضوض قليلة، كان يجب أن تبقى مكانك هناك. والآن علينا أن نعود صاعدين إلى هناك.» واخذت ترتجف من البرد.

قال: «دعيني اساعدك.» مد ذراعيه حول وسطها ثم رفعها على قدميها. وأحست بالدوار لحظة، ثم التصقت به

www.elromancia.com

بعجز. وامرها بقوله: «ضعي ذراعيك حول عنقي.» وببطء، اطاعته، فشبكت اصابعها خلف رأسه، ومنحها الدفء المنبعث من جسده، القوة. ثم حملها بين ذراعيه وصعد بها. وتعثر بصخرة غطتها الثلوج فأخذ يشتم.

رفعت رأسها عن كتفه قائلة: «يمكنني ان اتدبر امر نفسي، يا كلاي. أنزلني إلى الأرض.» ولكنه لم يهتم بكلامها بل زاد من احتضانها، وشعرت هي بالسرور لذلك... ولكنها شعرت بالإزدراء لنفسها إذ تشعر بذلك.

كانت سيارة الفان اكثر دفئا في داخلها، ولكن درجة الحرارة ابتدأت تهبط بعد أن برد المحرك. وظل ممسكاً بها لحظة يهدهدها في حضنه إلى أن ابتدأت نوبة الارتجاف تتلاشى.

تمتمت: «انني آسفة ياكلاي. فانا استشعر الغباء في نفسي.» ودست وجهها في سترته المبللة.

قال بلطف: «ولكن النية طيبة.»

جعلها شيء في صوته ترفع رأسها إليه ليصدم ناظريها منظر شعره المبلل ملتصقاً على جبهته.

قالت بحنان: «أوه، انك مبلل... حسناً، سأبحث عن منشفة.»

وزحفت إلى مؤخرة الفان، وقطعت الشريط الذي يلف أحد الصناديق بأصابعها الخدرة، ثم سحبت منشفة فناولته، وأمسك بالمنشفة لحظة، ثم تأفف ساخطاً وهو يقول: «لقد جرحت يدك هنا. دعيني أرى.» وأمسك بيدها ثم لف المنشفة حول الجرح الذي كان ينزف.

قالت: «انني لا... لا اشعر بشيء.» ثم شهقت من بين

اصطكاك اسنانها إذ جذبها إليه وابتدأ يدعك شعرها بعنف بالمنشفة.

ثم قال: «والآن، تخلصي من هذه الثياب المبللة.» وقبل أن تعترض بكلمة، كان قد نزع عنها معطفها.

هتفت باحتجاج: «كلا.» ولكن ثيابها كانت مبللة، كما ان الثلج الذائب في ياقتها قد بدأ يسيل على ظهرها.

قال: «انك لم تكوني بمثل هذا الخجل، ياجو. وإذا لم تنشفي هذه المياه ستتجمدين.»

وحين بدأ يساعدها في نزع ثيابها لم يعد ارتجاف جسدها بسبب البرد وحده.

توسلت إليه قائلة: «كفى... كفى، ارجوك.»

قال بصوت اجش وهو يلفها باللحاف: «حقاً؟» وامسك به يشده حولها برهة إلى ان شدته هي منه عنوة. ثم بدأ يجفف شعره. وراقبته لحظة، وهي تتذكر بأسى، تلك الأيام التي كانت تقوم هي لأجله بذلك العمل.

قال لها بصوت آمر يحمل نبرة تهديد: «اسكبي لنفسك شيئاً من القهوة.» وجعلها هذا الصوت تتحرك بصورة تلقائية بعد أن اعادها إلى رشدها.

اخذت تذكر نفسها بأن هذه الاحاسيس التي اخذت تنتابها ما هي الا تغيرات كيمائية في جسدها. حتى الديناميت نفسه هو مجرد كيمياء... بدأت جو برشف القهوة الساخنة، ولكن اسنانها لم تكن لتتوقف عن الاصطكاك رغم محاولاتها. أخذت تراقبه وهو يمهد بعض الصناديق ثم فرشه بالملاءات ليجعل منها ما يشبه السرير.

قال لها: «استلقي هنا، وستشعرين بالدفء.» ولم تكن

لتستطيع الجدل وهو يستلقي بجانبها، وقد غطى جسديهما معاً باللحاف ثم بدأ بدعك يديها ورجليها ليدفئها. ثم سألها: «اتشعرين بالدفء الآن؟» فأومأت برأسها. عند ذلك، استدار مستلقياً على ظهره واغمض عينيه قائلاً: «لقد حان دورك الآن.»

فازدردت ريقها، ذلك أن فكرة لمسه ضايقتها لحظة ظنت معها ان ليس في إمكانها ان تفعل ذلك. ولكن كان عليها أن تفعل ذلك إذ كان الذنب ذنبها، فهي لو لم تصر على الخروج من الفان لبقي الاثنان جافين.

وابتدأت ببطء، ثم ما لبثت ان اسرعت في عملها عندما لاحظت مبلغ شعوره بالبرد. واخذت تفرك قدميه.

قال: «هذا يكفي.» كان صوته خشناً، وقبل أن تستطيع الاعتراض، كان قد وضع ذراعيه حولها ثم جذبها إليه. بقيت متصلبة في حضنه إذ كانت تعرف أن اقل حركة منها كانت كافية لكي يفقدا السيطرة على نفسيهما لهذا حافظت على هدوئها التام، بينما كانت اذنها ملتصقة بصدره الصلب، تستمع إلى دقات قلبه المنتظمة، وبعث التصاقها به آلاف الذكريات في اعماقها. فصدرت عنها صرخة فجأة.

أخذ كلاي يهدهدها برقة إذ تعلقت به، مشدداً من احتضانه لها وهو يهمس في شعرها بكلمات ملاطفة.

قالت وهي ترتجف: «انني خائفة يا كلاي. اترانا سنتجمد من البرد حتى الموت؟»

رفع رأسه، وفي النور المخيف المنعكس من الثلج، استطاعت ان ترى عينيه، وهو يقول: «كلا، اننا لن نتجمد.»

ثم اغلقهما ثانية، ولم تعد، بعد ذلك، ترى شيئاً او تشعر بالبرد أو الوحشة.

تشممت رائحته الدافئة المألوفة، وعندما تحركت اطراف اصابعه برقة، ملامساً كتفيها، خرجت من بين شفتيها شهقة حنين غير إرادية. وهنا، توقف الزمن.

www.elromancia.com

الفصل السابع

انسحبت جوانا ببطء شديد في محاولة للتخلص من اغراء ذراعي كلاي. ولكن قبضته اشتدت حولها.

همست: «لا يمكنني ذلك، يا كلاي.»

قال: «لا؟» ورفع رأسه وأخذ يحدق في وجهها لحظة خالتها دهراً.

عادت تقول وهي تشعر بالعجز: «لا يمكنني ذلك.»

تركها فجأة ثم جلس. وتمنت لو تطلب منه العودة إلى قربها وضمها مرة أخرى. ولكن، عليها أن تكون قوية الآن. عليها أن تكون قوية لأجل أليس.

أدار لها ظهره قائلاً: «إذا كان لديك ثياب صوفية في هذه الحقائب خلفك فمن الأفضل أن ترتديها، فهذا وقت مناسب لذلك.»

للحظة واحدة، فكرت في أن توضح الأمر. إن أليس حرمت من الاستمتاع بأسرة مكتملة. فهي من دون أب، ولن يكون لها أخوة أو أخوات، ولهذا لها الحق، في أن تنتظر من أمها أن تفكر بها أولاً، ودوماً قبل نفسها.

لكن استدارة ظهره، على كل حال، لم تشجع على أي حديث، وتركت دفء اللحاف وهي ترتجف، وفي الضوء الخافت المنبعث من السيارة وجدت بدلة وبعض الجوارب، وشعرت ببعض القوة، فتابعت البحث إلى أن وجدت زوجاً قديماً من الجوارب الرجالية وكنزة كانت لأبيها.

سألته: «هل هذه تناسبك؟» أخذ الكنزة دون أن يتكلم وارتداها حاشراً إياها بكتفيه بقوة، وكان الجوربان أفضل. وشعرت فجأة، بشيء من الضيق، انهما ربما كانا يخصانه، ولكنه لم يقل شيئاً. وبدلاً من ذلك، جذب اللحاف فوقه، ثم استدار على جنبه. وبقيت هي لحظة تحتضن ركبتيها وهي تفكر في ما عليها أن تفعل.

قال: «حاولي أن تنامي، يا جو. فالليلة ستكون طويلة.»

النوم؟ ربما كانت تضحك لو لم تشعر بأنها على وشك البكاء. إنها لن تفعل. لن تستلقي إلى جانبه. وفجأة، أدركت أن ذلك ليس ضرورياً. وهتفت: «كلاي.»

استدار ينظر إليها بسخرية قائلاً: «ماذا حدث يا جو؟ هل غيرت عقلك؟»

شكرت الظلام الذي ستر تضرج وجهها، وقالت متجاهلة سخريته: «يمكننا استعمال هاتفك للإتصال بالسيدة رايس، إنها ستأتي إلينا في سيارتها اللاندروفر. إننا على الأقل، لن نتجمد حتى الموت.»

قال ساخراً: «اننا لن نتجمد حتى الموت هنا.»

«أرجوك.» وتنهد هو عند ذاك، وأخرج الهاتف من جيبه قائلاً: «ما هو الرقم؟» أملت عليه الرقم فطلبه ثم انتظر فترة قال بعدها: «ليس ثمة رد، ربما أتلفت الرياح الخط.»

عضت جو شفتها، ثم قالت: «ربما. حاول مرة أخرى، إذ ربما أخطأت الرقم.» وكررت الرقم مرة أخرى. وهزّ رأسه وهو يضع السماعة على أذنها لتستمع بنفسها.

قال: «لا بأس بالمحاولة يا جو. ولكنك معي، فحاولي أن تنامي الآن.»

عند ذلك، استلقت إلى جانبه محاذرة أن تلمسه رغم صعوبة ذلك في تلك المساحة الضيقة. ولكنه ما لبث أن استدار إليها ووضع ذراعه حولها، فتصلب جسدها ولكنه لم يأت بحركة ذات مدلول. كان يقدم فقط، مجرد عطف انساني ووجدت نفسها مسترخية في ذلك الدفء المنبعث من جسده.

«جو؟» أيقظها صوته يناديها، وكذلك البرودة التي شعرت بها في ظهرها، فحاولت أن تجلس وقد تيبس جسدها.

سألته: «ماذا هناك؟»

قال: «إنها شاحنة الانقاذ.» أضاء وجهه نور قوي في ذلك الظلام، فعبس مغمضاً عينيه وهو يجذب سرواله المبلّل قائلاً: «الأفضل أن تجمعي حوائجك.» ثم قفز إلى الخارج ليشرح وضعهما لمنقذهما.

كان سائق السيارة بشوشاً بشكل رائع وهو يخاطبها قائلاً: «صباح الخير، يا سيدة تاكيراي.» وأجفلت لا إرادياً حين سمعت النداء الذي لم تألفه، وألقت نظرة على كلاي ولكن وجه هذا كان خالياً من التعبير وقد غمرته الظلال.

وعاد السائق يقول: «آسف لهذا التأخير. لقد كنت أخبر زوجك أن هذه الليلة كانت سيئة في جميع الأنحاء. ويبدو أن الجو في طريق التحسن الآن.» وبرز القمر قليلاً من خلف الغيوم وبدا، للحظة، أن كل شيء قد تألق، وتابع السائق: «لماذا لا تذهبين إلى العربة وتجلسين فيها؟ إنها دافئة وحالاً سننتهي من تحميل هذه السيارة.»

في النهاية، كان الفان قد حمل في سيارة الشحن. بينما صعد كلاي ليجلس إلى جانب السائق.

أدار السائق وجهه إلى الخلف مقدماً إلى جو علبة بلاستيكية تحتوي بعض سندويتشات الجبن وهو يقول: «أتريدين ساندويش، يا سيدة تاكيراي؟»

وجه كلاي إليها نظرة حادة تحذرها، كما يبدو من أن تعترض على الإسم. وقالت تجيب السائق: «كلا، أشكرك.» ولم تنس أن تبتسم له.

عاد السائق يقدم الصندوق إلى كلاي قائلاً: «يا سيد تاكيراي؟» ولكن هذا هز رأسه أيضاً بالنفي.

قادهما السائق إلى مرآب حيث تدبر كلاي أمر إصلاح الفان. ثم استأجر عربة أخرى تقلهما إلى المنزل. ونقلوا حاجياتها وصناديقها في صمت تام، وفي النهاية انطلقا وقد جلس كلاي أمام عجلة القيادة.

سارا في ذلك الليل الثلجي أميالاً عديدة وقد سادهما صمت عميق، ولم تجد جو طريقة تخترق بها هذا الصمت، كما أنه بدا على كلاي الاستغراق في أفكاره وكأنه لا يشعر بوجودها.

عند الجسر، توقف حيث الاستراحة، معترضاً على إصرارها على متابعة السير بقوله: «إنني في حاجة إلى بعض القهوة لتبقيني مستيقظاً.»

قالت وقد شعرت بغبائها: «أوه.» وتابعت محاولة إصلاح سوء فهمها: «لا بد أنك جائع كذلك؟»

قال: «نعم. إنني جائع.» وحدّق فيها لحظة، ثم فتح لها الباب فحاولت أن تترجل، ولكن أعضاءها كانت متصلبة من جراء سقوطها، فأنزلها، ممسكاً بها عند صدره بينما كانت ساقاها لا تنثنيان، وهو يقول: «من الأفضل

الإكتفاء الآن بالقهوة، إذ ان الفطور قد يصبح عادة بيننا.»

قالت بحدة: «هذا لن يكون.» لقد تعرضت إلى ذلك الخطر، هذه الليلة، كما لم يحدث من قبل. لكنها قاومته رغم شدة حنينها إليه الذي بدا بالقوة التي كان عليها عندما قبلها لأول مرة، من أين جاءتها القوة لرفضه؟ لم يكن ذلك لأنها أرادت رفضه، ولكن لأن عليها أن ترفضه. لقد أضاعا حظهما في الحب وهي لا تقبل أبداً أي حل يأتي في الدرجة الثانية قد يفكر هو فيه.

كان ضوء النهار قد انتشر عندما استدار كلاي بالفان إلى الطريق المؤدي إلى منزل والدة جو. وعندما وصلا، كانت عند الباب فأسرعت خارجة عندما رأتهما، وهي تهتف: «جو، لقد كنت في أشد القلق عليك.» وعندما وقع نظرها على كلاي بدا أن أسوأ مخاوفها قد تحققت.

قالت جو: «لقد تعطلت السيارة بنا، يا أماه. ونحن بخير الآن. لو ظننت أنك ستقلقين لاتصلت بك هاتفياً. ولكنني فضلت عدم ازعاجك بمخابرة هاتفية في منتصف الليل.»

قالت الأم: «لقد سمعت النشرة الجوية في التلفزيون فاتصلت بالسيدة رايس التي أخبرتني بأنك تركتها منذ ساعات.»

قالت جو: «لكننا اتصلنا هاتفياً بالسيدة رايس، ولكن هاتفها كان...» والتفتت نحو كلاي الذي نظر إليها دون أن يبدو على وجهه أي تعبير، إلا لمحة سخرية لقدرته على اغفالها بمثل هذه السهولة. وحولت ناظريها بعيداً وقد استحوذ عليها الارتباك.

قالت الأم: «هيا ادخلا، إذ يبدو عليكما التجمد من البرد.»

قال بحزم: «سأنزل الأمتعة من الفان، ثم أذهب يا سيدة غرانت.»

ألقت نظرة على وجهه الشاحب ولحيته النابتة، لتشعر بالعطف بالرغم عنها. وقالت: «كلا. هيا ادخل واجلس بجانب المدفأة، وهذه الأمتعة يمكنها أن تنتظر. هل تناولت طعام الفطور؟»

نظر إلى جو قائلاً: «ظننت أن من الأفضل العودة بسرعة إذ تكهنت أن القلق قد ينتابك.» وخنقت جو الكلمات التي قفزت إلى شفتيها، ورفع حاجبه بشيء من السخرية وكأنه يحيي فيها ضبطها لنفسها هذا. وتبعا الوالدة إلى داخل المنزل، بينما كانت جو تفكر في أنها ستحاسبه على تزييفه للحقيقة بالنسبة لهذا الأمر حالما تستعيد قواها.

دعته السيدة غرانت إلى الجلوس في مقعد كبير ذي ذراعين قائلة: «تفضل بالجلوس، يا كلاي.» ثم التفتت قائلة: «الأفضل أن تأخذي أنت حماماً ساخناً الآن.»

وقفت جو فترة تحت «الدوش» خائفة من أن تسقط من النعاس. ثم ارتدت سروالاً رمادياً وكنزة صفراء. وذهبت لترى ابنتها. ولكن هذه لم تكن في غرفتها ونزلت جو تهبط الدرج بلهفة وهي تهتف: «أمي. أين...»

قالت الأم وهي تضع اصبعاً على فمها مشيرة إلى كلاي الذي كان قد غط في النوم في كرسيه: «هس... لقد أنقذت الفنجان من يده في الوقت المناسب، تعالي إلى المطبخ.» كانت الطفلة أليس هناك تأكل بسرور قطعة خبز محمص قدمتها لأمها حين رأتها، وهي تهتف: «ماما!»

هتفت أمها بدورها: «مرحباً، يا حبيبتي... هل كنت فتاة طيبة مطيعة؟» لقد وجدت من الأسهل عليها أن تثرثر مع طفلتها من أن تواجه عيني أمها المستطلعتين، ولكن، عليها أن تواجه الأمر في النهاية وخير البر عاجله.

قالت: «إنني آسفة لقلقك عليّ، يا أماه. لقد تعطل الفان في الجبال، وكان علينا أن ننتظر طويلاً قبل أن تأتي سيارة الانقاذ.»

قالت الأم: «تفسيرك هذا يتشابه مع تفسير كلاي. ولكن الشيء الوحيد الذي لم يفسّره أي منكما يا جو، هو ما الذي جمعكما معاً، أصلاً؟»

قالت جو: «كان عليه أن يذهب إلى برينغلاس لكي يشاهد البناء.»

قالت الأم: «فدعوته أنت لكي يأتي معك.»

قالت جو: «كلا.»

رفعت الأم حاجبها قائلة: «ولكنه جاء على كل حال. حسناً لقد حذرتك.»

قالت جو: «نعم يا أمي، لقد حذرتني ولكن ليس عليك أن تقلقي.» ونظرت نحو أليس ثم تابعت: «ذلك أن مشاعري منضبطة تماماً.»

رأت جو عيني أمها تتجهان نحو الباب، فاستدارت لترى كلاي واقفاً عنده بشعره الأشعث.

قال: «الأفضل أن أذهب الآن.» والتفت نحو جو سائلاً: «أيمكننا إنزال الأمتعة الآن من السيارة؟»

تدخلت السيدة غرانت قائلة: «يمكننا أن نقوم بذلك أنا وجو في ما بعد. لتنقلك جو بالسيارة إلى منزلك إذ أنك تبدو

وكأنك ستسقط نائماً أمام عجلة القيادة. وهي ستعيد الفان إلى المكتب غداً.»

بدا عليه وكأنه سيرفض، ولكن جو سارعت تقول وقد أدركت أن أمها على حق: «الحق مع أمي، يا كلاي.»

حدق فيها لحظة، ثم هز كتفيه دون مبالاة وهو يقول: «من ذا الذي يجادل؟»

استدارت تسلم أليس إلى أمها، ولكن الأم هزت رأسها قائلة: «أخشى أن عليك أن تأخذيها معك، يا جو. ذلك أن عندي موعداً مع مزينة الشعر بعد عشرين دقيقة.»

حدقت جو في أمها قائلة: «ولكن...»

لكن الأم قالت: «المعذرة، عليّ أن أذهب الآن. إلى اللقاء يا كلاي.»

ألقى إليها شبه ابتسامة، وهو يرد تحيتها.

هزت جو كتفيها قائلة: «هيا يا أليس لكي ألبسك معطفك.» وعندما ألبست الطفلة معطفها المشرق اللون، كانت تشعر بكلاي واقفاً خلفها.

قال: «إنها تشبهك تماماً.»

قالت جو بسرعة: «نعم. الجميع يقولون ذلك.» وقبل أن تقوم بأي شيء، كان هو قد انحنى يحمل أليس يحتضنها بملء ذراعيه وهو يحدق فيها عن قرب. وأغمضت أليس عينيها وهي تضحك مسرورة رافسة بساقيها الصغيرتين.

قال: «هل ثمة شبه بينها وبين أبيها؟»

قالت: «قـ... قليلاً.»

زمّ فمه قائلاً: «وما هو هذا القليل؟»

قالت: «إذا كنت تعرفه، يمكنك أن تدرك ذلك بنفسك.»

www.elromancia.com

أخذت منه أليس ثم أسرعت بها خارجة نحو سيارتها حيث وضعت حولها الحزام مثبتة إياه بشدة.

جلس كلاي في المقعد بجانبها ثم أغمض عينيه ولم يفتحهما إلا عندما أوقفت السيارة أمام الكوخ. ثم انتظرت منه أن يخرج، ولكنه لم يتحرك.

قالت: «لقد وصلت إلى منزلك، يا كلاي.»

استدار ينظر نحو الكوخ قائلاً: «نعم. هذا صحيح هيا بنا.» وفتح الباب.

قالت: «كلا.» ولكن الانزعاج بدا على وجهه، فحوّلت ناظريها بعيداً بسرعة وهي تقول: «لا أظنها فكرة حسنة.»

قال وهو يتمطى مبتسماً: «إنه ليس طلباً، يا جو. حسناً، ان جسمي متيبس. أحضري أليس فتكونين عند ذلك، بأمان تماماً. وهذا ما قصدته والدتك.»

نظرت جو إلى الخلف إلى ابنتها، ثم قطّبت حاجبيها قليلاً قائلة: «ربما.» وفكرت في أنه من المؤكد أن ليس لدى أمها أي موعد مع مزينة الشعر، وفتح كلاي لها الباب فخرجت وكل عضلة في جسمها تؤلمها مما عانته.

عندما تبعته في الطريق، انتبهت إلى حركة على السطح. كانت الحمائم ترفرف فوقه، تماماً كما رأتها في أول يوم جاءت فيه إلى الكوخ.

قالت لابنتها: «انظري، يا أليس.» ووقف كلاي لحظة وهو يتأملهما. وعندما نظرت جو إليه رأت جبهته وقد تغضنت قليلاً وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً. وعادت إلى واقعها فجأة لتقول بحدة: «ما الذي تريده، يا كلاي؟»

انتفض مبعداً أفكاره، ليردد: «ماذا أريد؟» ثم ابتسم

وكأنما خطر له خاطر مسلٍ، قائلاً: «لقد حان وقت ذلك الفطور الذي وعدتني به. إنني جائع جداً.» ولم ينتظر جوابها، بل استدار يفتح الباب حيث اختفى في الداخل.

وقفت وجسمها يرتجف. كيف يجرؤ؟ حسناً فلينتظر فطوره. وهتفت بابنتها: «هيا بنا، يا أليس.» ولكن الطفلة تملصت من يد أمها، ثم هرعت نحو الباب. وصرخت جو: «أليس.» وسمعت ضحكاتها تختفي ناحية غرفة الجلوس، فهرعت في اثر الطفلة.

أمسكت بيد ابنتها ومشت ببطء في أنحاء المنزل. كان المكتب في غرفة المطالعة، غير مغطى وقد بدا أنه قد استعمل حديثاً، ولكن غرفة الصباح كانت مغطاة بالملاءات كما كانت الستائر مسدلة، وكان المطبخ نظيفاً ومنظماً ولكن ليس بالتألق الذي كان عليه أيام عناية السيدة جونسون الفائقة.

كان في الثلاجة القليل من المواد الغذائية، وأخرجت جو علبة تحوي البيض. وساورها شعور غريب وهي تفتح الخزانة، عالمة بالضبط مكان كل شيء، مما يعني أن لا شيء قد لمس منذ تركها المنزل.

سمعت صوت «الدوش» في الطابق العلوي فابتدأت بسرعة تخفق البيض وتحمص الخبز. وتحضر القهوة. وكانت أليس في هذه الأثناء، قد وجدت خزانة أعجبتها ففتحتها وابتدأت تفرغ محتوياتها على الأرض، وتعبث بها. ولم يكن لدى جو وقت لمنعها. كانت تجهد في أن تهيء كل شيء لكي تنسحب بسرعة حالما يظهر كلاي.

لم تنتبه حين توقف صوت تدفق المياه، ولما استدارت

رأته واقفاً عند الباب يراقبها. وكان يرتدي معطف الحمام بينما شعره كان لا يزال مبللاً. نظرت بافتتان يائس إلى قطرة من الماء تعلقت في إحدى تجاعيد شعره لتسقط على رقبته ثم تتلاشى، في ثنايا معطفه، ووضعت الصحن بسرعة على المائدة ثم ضغطت آلة صنع القهوة.

قال لها: «ألن تأكلي معي؟»

قالت: «أنا... كلا.» وابتعدت عنه حيث أخذت تلملم العلب التي كانت أليس تعبث بها، ثم تعيدها إلى الخزانة.

قال آمراً: «دعي ذلك. ستأتي السيدة جونسون في ما بعد. وأظنها تحب أن تنطلق من نقطة الصفر.»

وجدت أن عليها أن تقول: «أظنها لم تأت إلى هنا منذ وقت طويل.»

أجاب: «ولم يأت أحد إلى هنا منذ وقت طويل. ذلك أنني لم أصمم بعد هل أعود إلى هنا، أم أبيع المكان.»

شعرت بقلبها يتفتت وهي تتصور أناساً آخرين يعيشون في بيتهما، ولكن، كان عليها أن تواجه الواقع. وقالت: «من المؤسف جداً أن تتركه فارغاً. أين كنت تسكن؟»

أجاب: «بعد ما رحلت، استأجرت شقة في المدينة.»

قالت: «إنني لم أرحل، بل أنت طردتني.»

«وهل كنت ستبقين؟» ولوى شفتيه باشمئزاز متابعاً: «أهو إطراء لي؟»

لم تجب إذ لم يكن هناك ما يقال على ما يبدو: «أنا ذاهبة.»

«اجلسي، يا جو.»

قالت: «لا أظن...»

قال: «ما الذي حدث لك؟ هيا احضري لنفسك فنجاناً واجلسي معي، انني أريد أن أسألك شيئاً.» وجلست أمامه تراقبه وهو يتناول الفطور الذي اعدته له.

قالت: «حسناً؟»

«هل في إمكان أمك أن تتعامل مع...» وأشار إلى أليس. «إنها تبدو صعبة المراس.»

قالت: «ليس كما يجب. ولكن أثناء مكوثي معها أظنها ستستاء إذا أنا أحضرت من ترعى الطفلة، ولكن عندما أنتقل من عندها، فالأمر عند ذاك يختلف.»

نظر إليها قائلاً: «تنتقلين من عندها؟ هل تفتشين عن منزل تعيشين فيه بمفردك؟» وابتدأ عرق ينبض في صدغه. «أو ربما لن تكوني بمفردك؟»

شعرت بوجهها يشحب. وقالت: «انني امرأة ناضجة يا كلاي، وقد تركت منزل أهلي منذ وقت طويل.»

قال: «ربما تمنعك الإقامة مع أمك من التصرف بحرية.»

اهتزت لقوله هذا فلم تستطع جواباً. هز كتفيه وهو يسكب لنفسه فنجاناً آخر من القهوة، ثم تابع قائلاً: «لقد أدليت برأي سديد ذلك اليوم عن ضرورة انشاء حضانة في الشركة، وقد تابعت أنا هذا الأمر شخصياً، وأظننا سنستمر قدماً.»

سألته بارتياب: «وما الذي يدعوك للاهتمام بأمر سبق ونقض من قبل.»

قال بوقاحة: «إنك أم لطفلة دون أب. ومن المؤكد انني لست في حاجة إلى أن أشرح ما في هذا من الفائدة بالنسبة إليك.»

www.elromancia.com

قالت بعنف: «لا يوجد طفل دون أب يا كلاي، إن ولادة طفل تتم بوجود شخصين.»

قال: «هذه حقيقة أعرفها جيداً، ولكن أي اثنين؟» وتابع بصوت قاطع: «لقد كنت حذرة جداً أن لا تأتي بها مني.»

نظرت أليس إليهما من حيث تلعب على الأرض، بينما نظرت إليها جو قائلة بهدوء: «لقد انتهى هذا الحديث.»

أجاب: «ليس تماماً.» ولمعت عيناه بشدة ثم تابع: «أريد أن أعرف إذا كنت قد أحببته.»

قالت: «أحببته من كل قلبي يا كلاي، وسأظل أحبه حتى أموت.»

أحست بنوع من الارتياح وهي تقول ذلك. إنه لم يعرف ولن يعرف أبداً أنها كانت تعنيه بذلك، ولكنها شعرت بالبهجة حين قالت ذلك، ثم رأت الثلج في نظراته، وتجمدت البهجة لتتحول إلى كتلة مؤلمة حيث كان قلبها ينبض بسرعة.

سألها: «وأين هو الآن؟» وتراجعت أمام الوحشية الضارية التي ظهرت في وجهه، إلى أن اصطدمت بالكرسي خلفها. وفجأة وقف ثم تحوّل عنها وهو يقول بازدراء: «يا للخسارة. هل ستستعملين الحضانة إذا تابعت انشاءها؟»

طرفت هي بعينيها إذ ترى الموضوع يتغير في لحظة. ثم قالت: «طبعاً، ولكنني لا أفهم ما الذي تريده من وراء انشائها؟»

قال: «قوى عاملة موالية.» وانحنى إلى الأمام يمسك

بيدها، ثم عبس وهو ينظر إلى أصابعها مركزاً أنظاره على خاتم الزفاف لحظة، ثم تابع قائلاً وقد بدا فمه كخط نحيل قاس: «من الصعب أن نجد مهندسين أكفاء. كما ان لدينا اتفاقية، وأنا لا أريد أن تعتذري يوماً بحجة أنك تريدين البقاء في المنزل لأجل أليس.»

سحبت يدها من يده قائلة: «ليس في امكاني الاستغناء عن العمل لأجل رعاية ابنتي.»

قال: «كلا؟ حتى وأنت عندك ثمن تلك الأسهم؟» فجمدتها نظراته في الكرسي وهي تقول: «انني أحتاج ذلك المال لأجل مكان...» وتوقفت عن الكلام. لقد قالت أشياء أكثر من اللزوم.

أكمل كلامها مفكراً: «مكان تعيشين فيه؟ إذن فقد كان شرطك في أن تستعيدي أسهمك، خدعة؟ وأنا قد صدقت قولك. إنها غفلة مني لن تتكرر.»

ابتسم فجأة قائلاً: «إنك، إذن، تظنين أن فكرة الحضانة هي جيدة؟»

أجابت موافقة: «كان يجب أن تكون قبل الآن.»

قال: «إذاً، اعتبريها حقيقة واقعة. وفكري كم ستكون بقية الأمهات العاملات عندي، شاكرات لك.»

أجابت: «والآباء أيضاً، فأنا بالنيابة عن كل الرجال الموظفين عندك، أشكر لك كرمك.» من أين وجدت القوة لتواجهه؟ والتفتت إلى ابنتها تقول: «هيا يا أليس، حان وقت العودة إلى البيت.»

استجابت الطفلة على الفور، لتخرج بها جو وتثبتها في المقعد الخلفي في السيارة، وعندما نظرت خلفها رأت

كلاي يزيح الستائر لكي يسمح لضوء النهار بالدخول. وتساءلت عما إذا كان قد صمم نهائياً على الاحتفاظ بالكوخ أو على البيع.

أمضت بقية النهار، تستعيد قواها مما سمته أمها بحنق، (قضاء الليل على الجبل العاري)، وفي الصباح التالي كان في إمكانها تجاهل بقع الرضوض الملونة في مختلف أنحاء جسدها، شاكرة حظّها على أنها في أمكنة غير معرضة للنظر.

في اليوم التالي، وصلت إلى المكتب لتجد نفسها قد أصبحت بطلة والجميع يسألها: «كيف استطعت إقناعه؟»

قالت جو بضيق: «اقنع من؟» ولكنها كانت تعرف الجواب عن هذا السؤال.

قالت موظفة الاستقبال التي كان لها طفلان، والتي أبدت غاية الشكر: «طبعاً السيد تاكيراي، إنه مستمر في إنشاء الحضانة، لقد سمعته يا جو. كان واقفاً حيث تقفين أنت الآن، وهو يقول لبيتر انك أقنعته بصواب إنشاء الحضانة.»

سألتها جو: «بيتر لويد؟»

أجابت: «نعم، وقد بدا شاحباً تماماً.»

قالت جو ساخرة: «إنه يظن أن جميع الأمهات يجب أن يبقين في المنزل يطحنون الجزر لأطفالهن.» ولكنها لم تكن تشعر بالسخرية، ذلك أن كلاي إذا هو وقف يتكلم بهذا الشأن في مكتب موظفة الاستقبال فهذا معناه أنه يريد أن يعرف رأي كل شخص في ما يجري.

تتابعت ساعات النهار بسلسلة مكالمات تهنئة من بقية الموظفات. وعقب الظهر مباشرة كان كل من في المبنى قد

عرف أن ثمة حضانة للأطفال ستنشأ وأنها هي قد أقنعت الرئيس الجديد بذلك.

في الساعة الثالثة استدعيت إلى مكتب الاستقبال لاستلام شيء يخصها. وهرعت هي يحدوها الفضول.

كان ثمة سلة ورود حمراء رائعة، تصلح لغرفة ملابس ممثلة سينمائية. وقلبت جو البطاقة التي لم تكن ضمن مغلف، وكان عليها بضع كلمات ظاهرة عمداً لكي يقرأها الجميع. ودون شك، قد قرأتها موظفة الاستقبال.

كانت الكلمات تقول: (ذكرى ليلة لا تنسى) وكانت دون توقيع، ولكنها عرفت صاحب الخط فوراً وتضرج وجهها إلى منابت شعرها. سيعلم الجميع الآن بأية وسيلة استطاعت هي (اقناع) السيد تاكيراي بالموافقة على انشاء الحضانة. أو أنهم سيظنون أنها فعلت ذلك والنتيجة هي واحدة.

سحبت البطاقة من السلة ومزقتها ثم ألقت بها في سلة المهملات. ثم استدارت مبتعدة. ونادتها موظفة الاستقبال قائلة: «ألن تأخذي زهورك، يا جو؟»

توقفت عن السير وحاولت أن تبتسم وهي تقول: «لماذا لا تبقينها هنا لتزيني بها القاعة؟ فليس لها مكان في مكتبي.» إنها على كل حال، أرسلت لتعرض على الجميع. وكذلك يسترد هو بذلك قيمة ما كلفته من نقود.

في الساعة الخامسة، بينما كانت مستغرقة في أفكارها عما حولها، دون أن تنتبه إلى انفضاض الجميع من حولها وكأنهم وجدوا فجأة ما يشغلهم، رفعت ناظريها لتجد نفسها وحيدة أمام كلاي الذي كان يقف مستنداً إلى الباب. ونظرت

حولها، ثم ابتسمت له بأسف قائلة: «إنك تعرف تماماً كيف تخلي غرفة ممن فيها.»

قال وهو يتقدم نحوها ويجلس على طرف مكتبها: «لقد استغرق ذلك سنوات من التمرين. لقد جئت هذا الصباح إلى العمل بسيارة الفان، فهل يمكنني أن أوصلك إلى منزلك بسيارتي؟»

قالت: «لشد ما أود ذلك.»

نظر إليها بعينين ضيقتين. كان قد توقع منها الرفض التام بعدما حدث. وقال: «أحقاً ستأتين؟»

أجابت: «طبعاً. فأنا لا أحب المواصلات العامة، كما أكره أن أفسد بهجتك. والأفضل لهذا أن تنتظرني عند المدخل الأمامي بعد الخامسة والنصف تماماً، إذ انني سأشعر بالأسف إذا لم يرانا الجميع نخرج معاً.» ونزل هو بخفة يهم بالخروج، عندما قالت: «ولكن ثمة ثمناً لذلك.»

توقف مظهراً التهكم وهو يجيب: «إنك لست في وضع يخولك أن تطلبي شيئاً، يا عزيزتي.»

تجاهلت قوله هذا، وتابعت تقول: «لا يمكنني الآن التصميم تماماً، ولكنني كنت أتساءل عما إذا كان في إمكاني استعمال اسمي بعد الزواج.»

انتظرت جوابه. ولكن التجاوب الوحيد الذي بدر منه، هو توتر فكه الأسفل. فتابعت تقول: «إن هذا سيرد إليّ اعتباري بشكل حسن. ألا تظن ذلك؟ إنه يوقف الشائعات الفضولية.» ولم تنتظر جوابه بل تابعت: «وإلا...»

سألها: «وإلا ماذا؟»

قالت وهي تتساءل إلى أي مدى يمكنها أن تصل: «وإلا،

فإن الحضانة يجب أن تكون مجانية.» فاستدار ليخرج وهو يقول: «لا تكوني سخيفة، يا جو. سأراك في مكتب الاستقبال الساعة الخامسة والنصف.»

تناولت سماعة الهاتف وأدارت القرص: «آلو... مكتب شؤون الموظفين؟ انني جو غرانت، إن عندي تعديلاً لإدخاله في الملفات...» ولكن يد كلاي قطعت المكالمة، فوضعت السماعة مكانها وانتظرت.

«إنك مخادعة يا جو.»

قالت: «حقاً؟»

«لقد رفضت أن تحملي اسمي عندما كنا نعيش معاً، وأنت لن تحمليه الآن.»

ازدردت ريقها ثم قالت: «إن علينا جميعاً أن نضحي.»

قتم وجهه ثم قال: «لقد قررت أن يكون المبلغ المدفوع للحضانة من الموظف خمسين بالمائة من التكاليف وهذا شيء منطقي.»

رن جرس الهاتف فوضعت يدها على السماعة قائلة: «هل عشرة بالمائة تكفي؟»

قال: «أربعون.»

رن جرس الهاتف مرة أخرى فتناولت السماعة واضعة يدها على فوهتها وهي تقول: «عشرون؟» ثم تكلمت في الهاتف قائلة: «نعم يظهر أن الهاتف قد انقطع أثناء المحادثة. وكما قلت فإن عندي تعديلاً في الملف.»

قال: «خمسة وعشرون.»

ارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة وهي تقول في الهاتف: «سأعاود الاتصال بك.» وألقت نظرة إلى ساعتها

قائلة: «خمسة وعشرون بالمائة هو مبلغ مناسب. سأراك في الأسفل بعد نصف ساعة.» وعندما استدار ليخرج، نادته قائلة: «كلاي.»

«نعم؟»

«أشكرك على الزهور!»

أومأ برأسه قائلاً: «انني مسرور إذ أعجبتك. لقد كانت...» وتردد وكأنه يفتش عن الكلمة المناسبة ثم تابع قوله: «كانت غالية الثمن نوعاً ما.»

قالت: «إنها تستحق ثمنها.»

عندما نزلت في آخر الدوام، إلى مكتب الاستقبال لتخرج بجانب كلاي، التفتت الرؤوس نحوهما تراقبهما.

فتح لها باب السيارة متمهلاً إلى أن استقرت في مكانها. كان يتصرف ببطء متعمد، وتحملت هي ذلك بصبر وكياسة. لقد كلفته بهجته هذه غالياً. ولكن عندما توقف عند الحانة قبيل الوصول إلى منزلها قالت معترضة: «إن الشرب بعد الخروج من العمل هو للفتيان فقط. إن عليّ أن أصل إلى بيتي.»

قال: «ليس في نيتي أن أعرض عليك الشراب. ولكنني لا أريد أن أوقف السيارة خارج منزل والدتك لكي تتلصص عليّ من وراء الستائر. هل تتعشين معي هذه الليلة؟»

أجابت: «أظنك نلت حاجتك مما تريد، هذا النهار، هذا إلى انني قد لا أجد من تجلس مع ابنتي إذا أنا خرجت معك.»

قال: «إنني متأكد من أن أمك ستكون سعيدة بأن تقوم بذلك، ذلك أن عندي شيئاً أريد أن أبحثه معك. أو ربما هذه المرة سأتعرض إلى خداعك.»

قطبت جبينها قائلة: «خداعي؟»

قال: «ما من سبب يجعلك تحملين اسم السيدة تاكيراي، يا عزيزتي، أليس كذلك؟»

لم تجب هي فترة، ثم قالت بوجه متجهم: «بعد سلة الأزهار المريعة تلك، وجب عليك التصرف بطريقة صحيحة. وأنا في إمكاني أن أذكرك بوعدك في أن تعلن زواجنا في كل الصحف المحلية.»

«وعدي...؟»

«هل نسيت؟ تعال لتأخذني الساعة الثامنة، أم انك تريد أن تقابلني في مكان آخر لتجنب مواجهة أمي؟»

أدار المحرك وهو يقول بابتسامة باهتة: «سآتي لاصطحابك.»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

لم تكن والدة جو مسرورة. كانت على استعداد للجلوس بجانب الطفلة في غياب أمها، ولكن، عندما أخبرتها جو بالسبب، قالت بوجه متجهم: «إنك مجنونة إذ تذهبين معه. إنه سيذيقك الويلات مرة أخرى.»

هزت جو رأسها: «كلا، لا أظن ذلك، لقد قال إنه سيتحدث معي في أمر خاص.» وأخذت تلتقط ألعاب أليس عن الأرض وهي تتابع: «لقد قلت شيئاً هذا النهار... ربما جعله يفكر في الطلاق.»

قالت أمها وهي تأخذ الألعاب منها: «أوه، هذا أحسن. ولكن الأفضل أن تذهبي وتجهزي نفسك، في هذه الحالة يجب أن تبدي في أحسن مظهر.»

أخذت تبحث في خزانة ثيابها متسائلة عما يمكن أن ترتديه لهذه المناسبة. إنها لم تفكر قط في طلب الطلاق لأنها لن تحب أبداً شخصاً آخر غير كلاي، ولكن ربما كانت أمها على حق، إذ من الأفضل قطع هذا الرباط غير المنظور الذي يربطهما معاً مهما كان مقدار الألم الذي سيسببه هذا، إذ لا شك في أن الألم سيكون هائلاً بالنسبة إليها. فقد شعرت بالرغم من كل ما حدث، عندما كان في مكتبها هذا النهار، وكأن النور قد غمر المكان... وقد يكون نوراً قاسياً ولكنه يتبدد كل توتر في علاقتهما. ولكن، لأول مرة منذ خرج كلاي من حياتها، تشعر جو بأنها حية... وهذا في منتهى الخطورة.

أخرجت الثوب الذي كانت قد ابتاعته لترتديه في حفلة عشاء الشركة في عشية الميلاد. ولكنها لم تذهب إلى تلك الحفلة لأن أليس كانت مريضة، وبعد ذلك لم تحدث مناسبة لارتدائه. كان أسود اللون بسيطاً، ولربما كان ملائماً للمناسبة الحالية!

أخذت أليس إلى الفراش حيث لعبتا معاً فترة. وبعد ذلك، بدأت تستعد للخروج وقد أدركت أن الحق مع أمها في أن تبدو بأجمل حلّتها.

بالغت في زينتها، وتعطرت بأثمن العطور التي كانت أختها قد قدمتها لها هدية في مناسبة نكرى ميلادها. صففت شعرها بطريقة تظهره أكثر بدائية ووحشية. وكان الثوب مستقيماً من الكريب الأسود يصل إلى ما فوق كاحليها وفي الجانب يوجد شق يظهر ساقها عند المسير.

وضعت في أذنيها قرطين طويلين ذهبيين، ولكنها لم تضع شيئاً حول عنقها، إذ كان سواد الثوب بجانب بياض بشرتها وهو يظهر كتفاً دون الآخر، لم يكن ذلك في حاجة إلى أية زينة. واستدارت لترى نفسها في المرآة وهي تعجب كيف أن كتفها وذراعها العاريتان قد نجتا من الرضوض، بينما امتلأت الذراع الأخرى بها!

وضع رنين جرس الباب حداً لتصوراتها هذه، ولم تكن قد سمعت وصول سيارة الأوستن. وألقت نظرة أخيرة على صورتها في المرآة، ثم أسرعت تهبط السلم قبل أن تقول له أمها شيئاً قد يندم عليه الجميع. وأمسكت أنفاسها وهي تقف في مدخل غرفة الجلوس.

كان كلاي واقفاً وقد أحنى رأسه قليلاً يستمع إلى شيء

كانت أمها تقوله له، وكان أنيقاً واثقاً من نفسه ومن جاذبيته. استقام في وقفته حين دخلت هي متقدمة نحوهما، وعندما نظر إليها محملقاً بدهشة، شعرت بالسرور لعنايتها الفائقة بمظهرها.

قال وهو يمسك بيدها: «جوانا...» وشعرت هي بالسرور حين أبقى يدها في يده لحظة قصيرة. ولم يكن في امكانها تحمل ذلك أكثر من لحظة واحدة.

قالت ببرود يتناقض مع غليان دمها في عروقها: «مساء الخير، يا كلاي. هل عرضت عليك أمي شراباً؟»

أجاب: «لقد فعلت. ولكنني أوضحت لها أن مائدتنا محجوزة الساعة الثامنة والنصف. ويجب أن نذهب الآن.»

أومأت برأسها برشاقة قائلة: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجاب: «لقد جعلت ذلك مفاجأة صغيرة.»

قالت باسمة: «سأنتظر إذن في القاعة ريثما تخبر أمي إلى أين يمكنها أن تتصل بنا في حال حدوث أي طارىء.»

ولما قطب جبينه قليلاً، قالت: «لأجل أليس.» واستدارت مسرعة، وهي تلف نفسها بشال كشمير تخفي بذلك ارتجافها، محاولة أن تبدو بمظهر هادىء متزن، مخفية كل انفعالاتها.

بعد لحظات، كان يقودها بثبات من مرفقها نحو السيارة المنتظرة، وهو يقول: «في آخر مرة انتابني مثل هذا الشعور، كنت في السابعة عشرة من عمري.»

قالت: «حقاً؟ وكيف؟»

أجاب: «كان عليّ وقتئذ أن أخبر أمك إلى أين سآخذك.»

ضحكت قائلة: «هل ذكرتك بأنك يجب أن تعيدني إلى البيت قبل الثانية عشرة؟»

رمقها بنظرة وهو يقول: «لم تقل الكثير، يا ساندريللا، ولعلها تذكرت في آخر لحظة انني زوجك.» وفارقتها كل رغبة في الضحك. وبدا عليه الرضى وهو يتابع قوله: «إنني لم أفهم مطلقاً لماذا يعتقد الآباء ان عفة بناتهم تبقى محفوظة حتى الثانية عشرة فقط.»

قالت: «سأتذكر هذا عندما يأتي الفتيان لزيارة أليس عندما تصبح شابة.»

نظر إليها قائلاً: «الذي يهمني أنا هو زيارة الفتيان لك أنت.»

قالت: «إذا كان هذا هو نوع الحديث الذي ستحدثني به، فمن الأفضل أن تعيدني الآن إلى منزلي.»

قال وكانت السيارة قد توقفت: «لقد فات الأوان لذلك، فقد وصلنا.»

نظرت جو من النافذة ورأت الأنوار تنعكس في النهر. وانقبض قلبها بعدما عرفت المكان الذي أحضرها إليه جاعلاً منه مفاجأة لها، فقد كان هو نفس المطعم الجميل الذي أحضرها إليه أول مرة خرجا فيها معاً. لم تكن لتصدق أبداً أنه يمكن أن يكون بهذه القسوة.

مد إليها يده، ونبذت هي فكرتها الأولى في أن لا تخرج من السيارة طالبة أن يعيدها إلى البيت، كان في نظراته جرأة وتحد. ورفعت هي رأسها بكبرياء، واضعة يدها في يده ليقودها إلى الداخل.

لا شيء قد تغير. السقف المنخفض، الأنوار الخافتة

www.elromancia.com

والشموع على الطاولات. في أول مرة اجتازت هذا المطعم، كانت تحلّق في أجواء السعادة بجانبه وكان الناس يميلون رؤوسهم نحوهما، وها هي الآن تسير مستقيمة الجسم في كبرياء، والابتسامة على ثغرها، وما زال الناس يرفعون رؤوسهم يتابعونهما بأنظارهم.

استقرا، في النهاية في زاوية هادئة وقائمة الطعام أمامهما. ورفعت جو كأس الماء إلى فمها ترطب شفتيها الجافتين.

سألها: «هل صممت على شيء؟»

نظرت في القائمة وهي تقول: «ماذا؟ أوه، كلا.» ونظرت إلى خليط من الكلمات لم تستطع أن تفهم منها شيئاً. وقالت: «إنني لست جائعة.»

قال: «هل أختار لك شيئاً؟»

أومأت بتعاسة قائلة: «إذا كان لا بد أن نأكل.»

قال: «أظن هذا هو المفروض.» ونظر إلى النادل، فجاء هذا، فطلب منه أن يأتيهما بطعام لهما.

جلسا بصمت. ثم سألته بأدب: «كيف حال والدك؟»

أجاب: «صحته ليست جيدة تماماً، ولكنه يحاول أن يحتفظ بقدرته على العمل.»

قالت: «لقد أرسل إليّ بطاقة في عيد الميلاد، وهدية لأليس.»

قال: «هذا أكثر مما أرسل إليّ أنا، ولكنه يعتقد انني حرمته من حفيدته.»

قالت: «انني متأكدة من أنك بذلت وسعك لإصلاح مفهومه ذاك.»

أجاب: «في الحقيقة، كلا.» وتعلقت ناظراه بناظريها: «لقد فضلت أن أتمسك ببقايا كبريائي.»

ارتجفت يدها وتركت الكأس من يدها بسرعة قائلة: «هذا هو السبب إذن، في رغبته برؤيتها؟ إنه يعتقد أنها ابنتك...»

قال: «هذا يجعله سعيداً جداً، إن صحته تتأخر. هل أمكنك احتمال ذلك؟»

قالت: «حاولت الإتصال به هاتفياً، ولكنني وجدت انه قد سافر إلى الخارج بعد إرساله البطاقة إلى وايلز.»

قال: «لقد عاد الآن.»

لم تعرف جو بماذا تجيب. ذلك أن كلاي يدعوها إلى التظاهر بما يعتقد أنه كذب. وبدا هذا غريباً على طبعه.

سرها حضور النادل بالطعام. وحدقت في الطعام برهة، ثم تناولت الشوكة وابتدأت تضع سمك السلمون المدخن في صحنها.

سألها: «أحقاً أنت غير جائعة؟»

هزت رأسها نفياً. كانت تشعر بمعدتها منقبضة. وقالت: «لقد أحضرتني إلى هنا لتتحدث إليّ عن أمر ما...»

قال: «عندنا المساء بطوله.»

قالت: «أفضل أن ننتهي منه أولاً، إذا لم يكن لديك مانع.»

قال: «ظننت أننا ربما...» وتوقف عن الكلام برهة ثم عاد يقول: «لقد كان الأمر غلطة واضحة، ولكننا لا نستطيع أن نخرج في منتصف وجبة الطعام.»

قالت: «كن واثقاً، أنا لست غبية يا كلاي، فأنا أعرف ماذا تريد.»

وضع كأسه على المائدة ونظر إليها قائلاً: «حقاً؟»

www.elromancia.com

وأمسك يدها اليسرى قائلاً: «لقد ظننت ذلك. أخبريني لماذا ما زلت تضعين خاتم الزواج، يا جوانا؟ لقد تركت مجوهراتك كلها، ولكن يظهر ان لهذا أهمية خاصة؟»

قالت: «المجوهرات لها قيمتها الذاتية، ولكن هذا الخاتم له قيمة معنوية فقط بالنسبة إليّ.» ونظرت إليه ثم سألته: «هل تريد أن تستعيده، يا كلاي؟»

تضرج وجهه وقال: «كلا، لا أريد.» وتوتر فمه وهو يتابع: «إذا كان يمنحك احتراماً معيناً، فأنا لا أضنّ به عليك.»

اندفعت واقفة قائلة بحدة: «إذا أنا كنت أريد ذلك النوع من الاحترام، يا كلايتون تاكيراي...» كانت تتكلم غير آبهة لأولئك الذين أخذوا يحدقون فيها وتابعت: «كنت إذن حملت اسمي الزوجي في أي وقت شئت.» وحاولت أن تخلع الخاتم، ولكنها لم تستطع. وقالت ساخطة: «اللعنة. إنه ضيق دوماً. سأرسله إليك.» واختطفت حقيبة يدها وركضت خارجة من المطعم، دافعة من طريقها القادمين الجدد، وقد منعتها التعاسة من الاهتمام بشيء.

شاهدت سيارة تنزل بعض الأشخاص فقفزت إليها معطية عنوانها للسائق. والتقط السائق هاتفه ليخابر مكتبه.

قالت تستعجله: «بسرعة أرجوك.» ولكن، بعد فوات الأوان، إذ فتح الباب ليلقي كلاي بنفسه إلى جانبها، والتفت السائق ينظر إليهما معاً سائلاً: «نفس العنوان يا سيدتي؟»

أجابت: «نعم من فضلك.»

قال كلاي: «اتبع الطريق الريفي.»

أجابه: «الأفضلية للسيدة، يا سيدي.»

فجأة شعرت بالخجل من عدم امتلاكها لأعصابها، فرفعت يدها مستسلمة وهي تقول: «لا بأس.» كان عليهما أن يتحدثا، وكلما أسرعا بالأمر، كان أفضل لهما. وابتدأت ترتجف.

قال لها: «تشعرين بالبرد هنا.» وخلع سترته ووضعها على كتفيها، ولكن ذراعه، بطريقة ما، بقيت هناك يلفها بقوته. إنها الآن في حاجة إلى كل قوة العالم.

قالت تعتذر: «ما كان لي أن أتصرف بذلك الشكل. لم يكن قصدي هذا.»

قال: «لقد وضح لي الأمر من عدم استطاعتك ضبط أعصابك.»

قالت: «انني مسرورة إذا كان في ذلك بعض الفائدة. يمكنك إذن أن تحصل على طلاقك.»

اندفع يواجهها وقد عقد حاجبيه قائلاً بعنف: «أهذا ما تبغينه؟»

قالت: «أظن هذا أفضل.» وحولت نظراتها بعيداً وقد أربكتها قوة نظراته إليها. وتابعت تقول: «ولكنني أظن انني، في هذه الظروف، عليّ أن أبحث عن وظيفة أخرى. فهل تدعني أذهب؟ أرجوك يا كلاي.»

كانت عضلات خديه تهتز وهو يقول: «إنني لا أستطيع إرغامك بعد انذار ثلاثة أشهر، عليك أن تبقي أثناءها تمارسين عملك.»

عندما رفع ذراعه عنها، عاد الجليد يحتل جسدها. ثلاثة أشهر؟ وغاص قلبها في أعماقها. لقد كانت أقل من ثلاثة أسابيع، ومع ذلك شارفت أعصابها على الإنهيار. وقالت:

«إنك لن تجبرني أبداً على أن أعمل معك في مثل هذه الظروف؟»

قال: «إنني أتساهل معك إذ أدعك تذهبين بعد ثلاثة أشهر فقط. وأنا أتوقع أن أسمع كل ذلك من مكتب محاميك.»

نقر على الزجاج الفاصل بينه وبين السائق قائلاً: «قف هنا.» ووقف السائق، وناوله كلاي أوراقاً نقدية ونزل قائلاً له: «خذ زوجتي من فضلك إلى المكان الذي تريده.»

هتفت به: «كلاي، لا يمكنك النزول هنا!» وكان الضباب يتصاعد على طول النهر. وتابعت: «خذ سترتك على الأقل.» وأخرجتها إليه من النافذة، ولكنه لم يستدر إليها، ففتحت الباب وابتدأت تركض وراءه منادية: «كلاي!» ولكنه كان قد اختفى، وأخذت تستدير حول نفسها في محاولة لمعرفة الطريق الذي ذهب فيه. ثم أدركت أين هي. وبعد أن ترددت لحظة، سلكت الممر المحاذي للنهر غائصة بحذائها العالي في الوحل وهي تشتم بعنف وصرخت: «كلاي!» وتحرك شيء في أجمة بقربها فاستدارت فزعة. لقد كان ثمة شيء هنا لم تستطع أن تتبين ما هو، ثم تحرك مجدداً فهربت مذعورة من تلك الأنفاس الثقيلة بجانب قدميها. وصرخت عالياً بذعر: «كلاي.» لتتوقف فجأة وقد شعرت بشيء يشدها. وحاولت أن تصرخ، ولكن الرعب أمسك بخناقها محولاً لسانها إلى قطعة من خشب.

سمعت صوته يصرخ بها: «ما الذي تظنين نفسك بسبيله؟»

نعم، لقد كان هو نفسه، لقد رأته وهو يديرها نحوه، فالقت بنفسها عليه لاهثة وهي تتعلق بعنقه محاولة أن

تتنفس قائلة: «كان... هناك... شيء ما...» وإذ شعرت بشيء من الشجاعة بين ذراعيه، التفتت لتتحقق من ذلك الذي يطاردها. كان كلباً ضخماً أسود وأبيض يجثم في الطريق، وقد مال برأسه إلى ناحيتها. وشهقت وقد شعرت بحماقتها فجأة، وقالت ذاهلة: «لقد كان كلباً.»

قال ببرود أدخل الرجفة في جسدها: «وما الذي ظننته إذن؟» فتمالكت نفسها وهي تتراجع إلى الخلف. ثم مدت يدها إليه بالسترة وهي تقول: «إنك... تركت هذه.» ولم يمد يده لأخذها فسقطت يدها جانباً، وهي ترتجف متابعة قولها: «ستصاب بالبرد.»

هتف وهو يأخذ السترة من يدها ويضعها على كتفيها يدثرها بها ويسألها: «ماذا أفعل بك الآن؟»

تصلب جسدها وهي تسأله: «تفعل بي؟ تفعل بي؟» وصدرت عنها شهقة مختنقة وهي تقول: «أرجوك أن لا تزعج نفسك لأجلي.» واستدارت تسير بسرعة عائدة من الطريق الذي جاءت منه.

هتف وهو يلحق بها: «أزعج نفسي؟» وترنحت هي ثم تعثرت في سيرها. وتابع قوله: «لم تكوني سوى إزعاج لي منذ اليوم الذي رأيتك فيه.» وأرغمت نفسها على الاستمرار في السير ولكنه أمسك بذراعها وأدارها نحوه لتواجهه قائلاً: «قفي، تباً لكِ.»

سألته بحدة: «لماذا أقف، ما دمت أنا أزعجك إلى هذا الحد فيجب أن تكون مسروراً لرؤيتي أذهب.»

قال: «إنني أعرف ذلك وفكرت في أن أتصرف بهذا الشكل، ولكن هذا لم ينفع. لهذا استغليت الفرصة عندما مات

تشارلز لأستلم مقاليد الشركة. وكنت أريد أن أريك كيف أنسف الشركة نسفاً. لأستطيع بعد ذلك أن أبعدك من عقلي بعيداً مع الحطام. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي وصلت إليها لكي أؤذيك كما آذيتني.»

قالت: «ولكنك... تتوسع في الشركة وتبني حضانة. أوه، يا للتعاسة.» وفجأة، اتضح أمامها كل شيء، فتابعت تقول: «إنها خدعة قاسية فقط، وعندما يكتشفون ذلك سيفتكون بي. ولن أستطيع بعدها أن أحصل على وظيفة أخرى أبداً...»

قال: «هذه كانت الفكرة العامة...»

سألته بمرارة: «وحادث السيارة؟ هل كان هو أيضاً جزءاً من الخطة؟»

أجاب: «كلا. لقد كان الحادث حقيقياً تماماً.» وسكت برهة، ثم أضاف قائلاً: «ولكن لو سرنا ميلاً آخر لكان الوقود قد نفد من السيارة.»

سألته بعنف: «ولماذا لم تتابع الأمر حتى النهاية؟ لا بد أنك على شيء من الخلق جعلك تمتنع عن اهانتي.»

أجاب بنفس العنف: «إنك لن تفهمي حتى ولا بعد مليون عام.» واستدار مبتعداً عنها.

تبعته وقد شعرت باليأس فجأة، قائلة بلهفة: «إنك لن تفعل ذلك يا كلاي؟ إنني لا أطلب ذلك لنفسي. فنفسي غير مهمة. أرجوك... إنني سأفعل كل ما تطلبه مني.»

وقف وهو ينظر إليها نظرة ذات معنى وقال: «كل ما أطلبه منك؟ إنك إذن لم تتغيري، لقد ظننت...» وألقى برأسه إلى الخلف وهو يئن قائلاً: «آه، يا لسوء الحظ... لقد ظننت...»

قالت بحدة: «ظننت؟» وبدا عليها الكدر وهي تقول: «ومنذ

متى توقفت عن الظن؟» ولم تتمالك أعصابها فأخذت تضربه على كتفه بقبضتها وترفسه من الخلف، فاستدار إليها ووقف يتلقى ضرباتها وهو يقول: «نعم، هيا، استمري يا جو اخرجي ما في داخلك. لقد امتلأت إلى حد أصبح من الغريب أنك لم تنفجري بما تكبتينه من مشاعر. لقد استفززتك، وأهنتك وأحرجتك إلى حد لا يطاق. ولكنك سكت عن كل هذا. ما الذي يمنعك من الاعتراف والإفصاح عما في نفسك؟ مم تخافين؟»

صرخت بألم: «إنني لست خائفة.»

قال: «كلا؟ اثبتي ذلك. هيا، لماذا لحقتني في ذلك الطريق؟ ألا يمكنك أن تعترفي بالحقيقة لنفسك؟»

قالت: «الحقيقة؟ أية حقيقة؟»

قال: «هي هذه، إنها الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن تكون بين رجل وامرأة.» وجذبها إليه بحدة.

وعندما أدركت نيته صرخت: «كلا، يا كلاي.» ثم أخذت تقاومه.

قال: «فات الأوان، يا عزيزتي. لقد قلت إنك ستعطينني ما أطلب، وأنا أطالبك بوعدك.» وأخذها بين ذراعيه يحتضنها بشدة. وما لبثت مقاومتها أن انهارت بعد إذ أخذت تتجاوب معه برغبة عنيفة تماثل رغبته ووجدت نفسها تتعلق برقبته وعندما انفصلا أخيراً ليستطيعا التنفس أخذا ينظران الواحد إلى الآخر بذهول، ثم اقتربت منه غير مبالية.

قال بصوت أجش وهو يقبض على يدها: «ليس هنا.» وركضا مسرعين في الطريق دون اكتراث بالوحل المتطاير على أرجلهما وثيابهما.

لف ذراعه حول خصرها وهو يخرج المفتاح ليفتح باب الكوخ. وكادا يسقطان معاً إلى الداخل حين فتح الباب فجأة تحت ثقل جسديهما.

مرة أخرى، عندما أصبحا داخل البيت، أخذها بين ذراعيه بشوق بالغ. كما أن جو لم تستمع إلى صوت العقل الذي كان يحذرها. فكانت كمن أصابه مس من الجنون. لقد طال بها شوقها إليه، ولم تعد تستطيع التراجع حتى لو شاءت.

حملها بين ذراعيه صاعداً بها السلم إلى حيث كانت يوماً غرفة نومهما.

يبدو أنها نامت، إذ فتحت عينيها لتراه واقفاً بجانب السرير مرتدياً كامل ملابسه.

سحبت غطاء السرير فوقها وهي تسأله: «كم الساعة؟»

أجاب: «لقد تجاوزت الواحدة صباحاً.»

قال: «لقد تأخر بي الوقت.»

أومأ برأسه قائلاً: «سأحضر السيارة إلى أمام المنزل.»

ارتدت ثيابها بسرعة، وسرحت شعرها قدر استطاعتها.

قاد السيارة بهدوء خلال الشوارع الهادئة، مركزاً انتباهه على القيادة، تاركاً إياها لأفكارها. وأوقف السيارة في الطريق أمام منزل أمها، ثم فتح لها الباب وأنزلها.

قالت: «كلاي...»

قال: «غداً يا جوانا، فليس الآن وقت الحديث.» وأخذ منها مفتاحها وأدخله في الباب بهدوء ثم فتح الباب. وقال لها: «سآتي إليك حوالى الحادية عشرة.»

قالت: «كانت ليلة جنونية، يا كلاي، وأريد منك أن تنسى كل ما حدث. عدني بذلك.»

قال باختصار: «غداً. سنتحدث غداً، ادخلي الآن.»

جاء صوت أمها يناديها: «جو. أهذا أنت؟»

تمتم كلاي: «بلّغيها اعتذاري وأخبريها أن عجلة السيارة انفجرت.» وقبلها في خدها قائلاً: «ليلة سعيدة.»

راقبته إلى أن دخل سيارته، ثم رفع يده يحييها قبل أن يتوارى بسيارته وراء المنعطف.

بدت أمها في أسفل السلم ملتفة بمعطفها المنزلي وهي تنادي: «جو؟»

ردت جو قائلة: «نعم يا أماه. آسفة لتأخري.»

قالت الأم: «لا بأس، إن أليس لم تستيقظ.» وتأملتها برهة مفكرة، ثم قالت: «حسناً؟ هل كنت على صواب؟ هل طلب منك الطلاق؟»

قالت بابتسامة المحكوم عليه بالإعدام: «لقد تفاهمنا حول كل المسائل المعلقة بيننا، وهو سيأتي في الصباح للتحدث في التفاصيل.»

قالت الأم ببراءة: «ألم يكن لديكما الكفاية من الوقت للتحدث الليلة؟» ولم تنتظر الجواب بل دخلت المطبخ وابتدأت تحضر الشاي. ولكن جو قالت: «سأصعد رأساً إلى فراشي إذا سمحت، لقد كان أسبوعاً متعباً من نواح عديدة.» ولم يكن في نيتها أن تنام. فإن ما بقي من هذه الليلة أرادت أن تستجمع فيها نفسها المشتتة، راجية أن تتمكن من ذلك.

أيقظت أليس أمها بوقوقتها المرحة وهي تقول: «البط، أطعموا البط.» ثم أخذت توقوق كما يفعل البط مرة أخرى.

ظلت جو مستلقية لحظة في السرير وقد شعرت بأعضائها ثقيلة بشكل غريب. وحاولت أن تتذكر متى

شعرت لآخر مرة بمثل هذا الألم. ونهضت تنظر في الساعة. كانت العاشرة والنصف، وقطبت جبينها لحظة، شاعرة بأن هنالك شيئاً مهماً عليها أن تتذكره. وفجأة، تذكرت كل شيء، فقفزت من السرير، وأغلقت الباب كي لا تنفذ منه أليس، ثم دخلت الحمام.

أنعشتها المياه الساخنة، ثم ارتدت ثياباً بسيطة عبارة عن سروال جينز وقميص مقفل، وحملت أليس ثم نزلت إلى الطابق السفلي وهي تنادي أمها. أجابتها: «هنا يا عزيزتي.»

تبعت صوت أمها إلى غرفة الجلوس فوجدتها جالسة إلى جانب المدفأة تتحدث إلى كلاي، الذي نهض لحظة دخولها قائلاً: «مرحباً يا جو.»

ازدردت ريقها وهي تقول: «مرحباً يا كلاي.» كانت تدرك أن وجهها متضرج كفتاة في الخامسة عشرة. وأخذت أمها تنقل ناظريها بينهما ثم قالت: «لقد أحضر لك كلاي بعض الأزهار، يا جو، وهي في المطبخ.»

تكلفت الابتسام وهي تقول: «ورود؟ أرجو أن لا تكون حمراء.»

قال: «إنها وردية اللون، وهذا أسلم عاقبة.» وتخلصت أليس من يد أمها، ثم هرعت نحو جدتها تقول: «أطعموا البط.»

أجابت المرأة: «آسفة يا عزيزتي، ليس اليوم.» ونظرت إليهما قائلة: «لقد وعدتها برحلة إلى النهر هذا الصباح، وأنا أكره أن أخيب أملها. ولكن عندي صداع بسيط.» ومست رأسها برقة.

قالت جو: «سآخذها في ما بعد.»

وقف كلاي قائلاً: «ولِمَ الإنتظار؟ سنذهب الآن.»

قالت الأم: «ما ألطف هذا منك، إنها جاهزة، كما أن الخبز في المطبخ.»

نقلت جو ناظريها من أمها إلى أليس التي كانت ترتدي ثوباً أزرق لامعاً يتمشى تماماً مع لون عينيها. ولم تكن واثقة من اللعبة التي تقوم بها أمها. ولكنها لم تشأ أن تكون حجر شطرنج.

قالت: «كلا يا أمي. لن نذهب إذا كنت متوعكة.»

قال كلاي: «إنني واثق من أن أمك تفضل أن نأخذ أليس من طريقها، يا جوانا، هيا أحضري معطفك.»

قالت: «ولكنني لم أتناول الفطور بعد.»

قال: «لقد فات أوان الفطور، سأشتري لك كعكة وفنجاناً من الشاي من الكشك في الحديقة.»

قالت: «وكيف أرفض عرضاً كهذا؟» ولكنها شعرت بالغضب من نفسها من الطريقة التي تنساق بها إليه دون إرادة. ولكنها خرجت لتلبس أليس ثياب الخروج ثم تحزمها إلى كرسيها في عربتها.

حملها كلاي إلى الخارج حيث أوقفها على الطريق، وحيث هي أمها ثم ركضت وراءهما.

قالت: «سأدفع أنا العربة.»

نظر إليها قائلاً: «في إمكاني أن أتدبر هذا الأمر. وإذا أنت تأبطت ذراعي فسنبدو كأي شخصين متزوجين.»

«ولكننا لسنا كذلك.»

قال: «فلنعتبر ذلك مزاحاً.» وقدم لها مرفقه، وترددت إذ

كانت تعرف جيداً سرعة تأثرها إذ تلمسه. ولما رأى نفورها من ذلك توقف ثم قال: «إنني لن آكلك في الشارع.» ولم تجد بداً من وضع ذراعها في ذراعه فشد هو عليها لكي يمنعها من سحبها إن هي غيرت رأيها.

وقف عند نقطة عبور الشارع. ورفعت أليس ناظريها إليه تسأله: «أين البط؟»

أجابها: «حالاً، يا حبيبتي.» ضحك وهو يستدير نحو جو قائلاً: «إنها واعية بشكل ملحوظ.»

«نعم، هي كذلك.»

قال: «يمكننا العبور الآن.»

سارا إلى جانب النهر صامتين. كان كلاي مركزاً اهتمامه على دفع العربة بين أولئك الناس الذين تدفقوا يستمتعون بشمس الشتاء. وكانت جو تحاول جاهدة اقناع نفسها بأن هذه الفترة الودية بينها وبين كلاي لا علاقة لها بالحقيقة الواقعة لحياتهما.

عبرا الجسر الحجري فوق المدخل إلى الجزيرة حيث كان البط ينتظر القادمين. وأخذت جو تراقب كلاي بهدوء وهو يفك الحزام من حول أليس ثم يرفعها من العربة ويقترب من البط كي تلقي إليه بفتات الخبز.

كانت تشعر إزاء كل هذا، بقلبها يتحطم. لقد رفضت كل هذه السعادة لأنها نشأت على أن ترتبط بمهنة، لكي تثبت لأبيها ولنفسها بأنها لا تقل عن الإبن الذي كان يرجو أن يرزق به. والآن، وهي تراقب كلاي وأليس، أدركت فداحة ما خسرت.

التفت إليها وهو يمسك كيس الخبز، وناداها لكي تنضم

إليهما، فأطاعته بالرغم عنها، ليس لأنها لم تشأ أن تشاركهما مرحهما هذا، بل لأن آلام الذكرى، عندما ينتهي كل هذا تكون مضاعفة.

أخذا يراقبان، فترة من الوقت الطفلة وهي تمرح بين الطيور، تطاردها. وكان كلاي يلاحظ خطواتها في الطريق المؤدي إلى المياه، حذراً من أن لا تقترب الطيور كثيراً من أصابعها الصغيرة. وأخيراً، نفد الخبز، فرفعها بين يديه ليضعها على كتفيه وهو يخاطبها قائلاً: «حسناً، أيتها السيدة الصغيرة. فقد حان الوقت لتتناول أمك الشاي.»

لم يعطها فرصة للاعتراض، بل استدار ليعود إلى الطريق تلحق بهما جو الى الكشك لاختيار أنواع الكعك.

سألها كلاي، إذ أشارت أليس إلى نوع من الكعك الدسم: «هل يمكنها أن تأكل واحدة من ذاك؟»

هزت جو رأسها نفياً قائلة: «كلا، بل يمكنها أن تأخذ قطعة خبز محمص.»

سألها: «وماذا عنك أنت؟»

أجابت: «وكذلك أنا سأكتفي بقطعة خبز محمص.»

جلسوا إلى مائدة، وكانت أليس تجلس على ركبتي كلاي. وفك أزرار سترتها، ومنعها برقة عندما همت بتناول المملحة، قائلاً: «كلا، أيتها الآنسة، لا تفعلي ذلك.» والتفتت هي إليه باسمة لتهتم بالسحاب في جيب قميصه.

التفت إلى جو قائلاً: «جو...» وتوقف حين أحضرت المرأة الشاي والخبز المحمص لهم. وشكرها، ثم عاد يحدث جو: «جو، في الليلة الماضية...»

قاطعته قائلة: «ليلة أمس انتهت يا كلاي... لقد كانت

مجرد توتر وعراك. وليس بك حاجة لأن تشعر بالذنب.»

عبس قائلاً: «ولكنني لا أشعر بالذنب. وأنا آسف إذ تشعرين بأن من الضروري تجاهل تلك الليلة.»

أجابت: «ما كان علي أن أسمح بحدوث ما حدث.»

قال: «ولكن ذلك حدث. كان ذلك محتوماً منذ اللحظة التي لحقتني فيها. كان عليك أن تعلمي ذلك.»

قالت: «كلا.» وعندما رأت المرأة التي تجلس خلف طاولة البيع تنظر إليهما، خفضت صوتها وهي تتابع قائلة: «كلا. لقد كان الأمر مجرد جنون، فقط...»

قاطعها قائلاً: «جو... إنني أريدك أن تعودي إليّ.»

الفصل التاسع

شعرت جو بوجهها شاحباً. وهزت رأسها لتتخلص من التشوش الذي احسته في اذنيها.

مدّ يده يمسك بيدها متابعاً: «انني اعرف انك طلبت مني الطلاق، ياجو، ولكن فكري في ذلك. فكري في الليلة الماضية.»

رفضت هي أن تدع عقلها يغادر صورة تلك الليلة الملتهبة المحمومة. لقد تزوجها لأجل ذلك، ولم يخف هذا، ولكن سبب هذا الزواج لم يمكن كافياً حينذاك. فكيف يكون كافياً الآن بعد كل الذي حدث وشكل حاجزاً شائكاً بينهما؟ ونزعت يدها من قبضته الدافئة. حتى لمس اصابعه كان كافياً لاضعاف تصميمها.

قالت بسرعة قبل أن يتملكها الضعف: «كلا. هذا مستحيل.»

احتل البرود في العينين الزرقاوين فجأة وهو يسألها: «هل هنالك رجل آخر؟»

لما هزت رأسها نفياً قال: «ما هو السبب إذن؟»

قالت وهي تنظر إلى ابنتها: «السبب واضح.» نظر هو بدوره إلى الطفلة التي كانت على ركبته تمضغ بهدوء، قطعة خبز. وقال: «انها جميلة جداً، ياجو. مثل امها... لو انها كانت... مختلفة.»

قاطعته: «تعني مثل أبيها.» وسرت إذ شعرت ببرود يبعد بعض ما تشعر به من ضعف.

www.elromancia.com

نظر إليها قائلاً: «سأعاملها كما لو كانت ابنتي.»

مالت إلى الخلف، فجأة، وقد ارهقتها المشاعر. كما لو كانت ابنته؟ ولم تستطع أن تقول شيئاً، ذلك أنه لم يستطع أن يرى الأمر حتى والطفلة على ركبتيه. إنها ابنتك... وادارت هذه الجملة البسيطة في عقلها ولكنها لم تنطق بها، ذلك انه لن يصدقها مطلقاً، مهما قالت.

قالت: «ارجوك ياكلاي، دع عنك هذا.»

ولكنه اصرّ على قوله: «ما حدث قد انتهى امره. لقد كنت احمق لأنني تركتك وحدك.» وأخذ يدها مرة اخرى وكأنه يدرك، غريزياً، أن للمسته القدرة على اقناعها، وتابع قائلاً: «لن أكرر ذلك مرة اخرى، أبداً.»

كان في كلماته من الحنق ما جعلها تتشبث بموقفها.

قالت: «هذه هي النقطة ياكلاي. انك لن تثق بي أبداً، إذا انا كنت بعيدة عن نظرك. انني متأكدة من ان القفص، الذي ستضعني فيه، سيكون مريحاً جداً.»

كانت تريده ان يفهم. واستطردت: «ولكنه، مع هذا، سيبقى قفصاً تحرسه أنت على الدوام كلما اقترب رجل مني لكي لا أهرب من القفص، إلى ذاك الرجل.»

قال بحزم: «كلا.» ولكن شحوب وجهه انبأها بأن هذه هي الحقيقة.

فكرت لحظة، في ان تقنعه بأنها لم تعرف رجلاً غيره، منذ دخل حياتها، لأنها لم تشأ ذلك. ولكنه لن يصدقها. ربما ليس في استطاعته هذا. وإذا رأت عدم التصديق في عينيه فإن هذا سيحطمها تماماً.

قالت: «ان العلاقة بين الاثنين تستوجب الثقة بينهما، يا

كلاي، ونحن لم ننجح في إرسائها بيننا. فنحن لم نعرف بعضنا البعض جيداً قبل الزواج. وكان الذنب في ذلك ذنبي، فقد سمحت لك بأن تسيطر عليّ. لأن القدر يعلم انني اردت تلك السيطرة. ولكن الأمور حدثت بشكل مستعجل. كان يجب أن تكون أنت قانعاً مطمئناً إلى عمل تسيّر به حياتك، إذ انني اشتبهت في أنه كان عندك اسباب خاصة حملتك على هذا الزواج.»

قال: «هذا ليس صحيحاً.»

قالت: «كيف تتوقع مني أن اصدقك في الوقت الذي ترفض فيه انت الاستماع إلي.»

بقي صامتاً برهة، ثم التوى فمه بابتسامة صغيرة ساخرة وهو يقول: «لقد وصلنا إلى طريق مسدود.» وانزل أليس وهو يتابع. «الأفضل أن نذهب.»

لكنها بقيت لحظة لا تستطيع الحراك إذ أن حزناً لا طاقة لها على احتماله اثقل أعضاءها مما منعها من الوقوف. ولكن يد كلاي على مرفقها نبهتها لأن تتحرك، فانحنت لتمسك بيد أليس، وهي ترد الابتسامة تلقائياً لسيدتين كبيرتين في السن وقفتا إلى جانب الباب لكي يستطيعا هما المرور.

قالت الأولى: «ما اجملها من طفلة.» واستدارت إلى رفيقتها قائلة: «أليست جميلة يا مولي؟ انها شديدة الشبه بأمها.»

ابتسمت الطفلة، التي كانت تحب لفت الأنظار، لمولي. وتقدمت السيدة تلامس شعر الطفلة الأشقر ثم رفعت ناظريها إلى قامتي جوانا وكلاي الطويلتين، وهي تقول: «انها

ساحرة. وكما قلت، فهي تشبه امها.» ثم ابتسمت لكلاي وتابعت. «ولكن لها عينا أبيها تماماً.»

انحنى كلاي يرفع أليس ببطء، يمسكها مواجهاً لها، محدقاً فيها وكأنه لم يرها من قبل. ونظرت أليس بدورها إلى أبيها، ثم رفعت يدها السمينة إلى وجهه. وما لبث هو أن تنهد وهو يحتضنها بين ذراعيه. ثم، مشى خارجاً من الكشك متعمداً الاسراع، تاركاً جو تركض خلفه دون أن ينطق بكلمة.

قالت: «انتظر ياكلاي.» ولكنه لم يجب مما اضطرها إلى الهرولة رغم اعاقة عربة أليس لها. وأخيراً، تنفست الصعداء حين تحوّل إلى طريق السيارات بدلاً من أن يضع اليس في سيارته الأوستن ثم يختطفها مبتعداً بها. ولكن فرحتها كانت قصيرة إذ أنه استدار إليها ماداً يده قائلاً: «هاتي مفاتيح سيارتك.» ولما رأت وجهه الشاحب، ناولته المفاتيح دون تردد، وفتح هو باب السيارة وهو يقول لها آمراً: «ادخلي.»

قالت: «ان أليس...»

قاطعها: «دعي أمر أليس لي.»

أخذت تراقبه بينما كان يحزمها جيداً في المقعد الخلفي، وكرر كلامه: «ادخلي يا جو.» ولم يكن ثمة ضرورة لذلك إذ ما كان لها أن تترك أليس تغيب لحظة عن عينيها، وجلست بسرعة في مقعد السيارة قربه وشدت الحزام حولها. جلس هو في مقعد القيادة، وانسابت السيارة ببطء وكأنه يسير على بيض، وكان صامتاً يفكر طيلة الثلاثة اميال التي اوصلتهم إلى مكتب شركة ريدموند.

ودون أن يقول شيئاً، حل وثاق أليس، ثم حملها داخلاً بها إلى المبنى.

سألته جو: «ما الذي تفعله ياكلاي؟ ولماذا جئت إلى هنا؟»

نظر إليها ببرود دون أن يكلف نفسه عناء الرد، بينما تحول في اتجاه الطابق السفلي. وكانت تركض خلفه لأجل ابنتها، هابطة معه السلالم إلى حيث الملفات التي تتناول كل اعمال الشركة. ونقر بإصبعه على لوحة الأزرار ليغمر الضوء المكان. ثم ابتدأ ينقب بين الملفات المكدسة في الصناديق وعلى الرفوف، وقد ضاقت عيناه.

قالت له بشيء من اليأس: «اخبرني عما تريده، فقد استطيع مساعدتك.»

قال ببرود: «حقاً؟»

لم تقل شيئاً بعد ذلك. بينما نامت أليس على كتفه براحة تامة. ولكن جو لم تدعهما يغيبان عن ناظريها لحظة.

أخيراً، هتف راضياً وهو يسحب ملفاً من على الرف، ووضعه برفق على الطاولة لكي لا يزعج الطفلة النائمة، ثم ابتدأ يقلّب الصفحات.

عبست جو. لقد كانت هذه الصفحات الوردية خاصة ببناء الجسر الذي كانت تعمل فيه اثناء لقائها بكلاي لأول مرة. وتصفح الصفحات بسرعة إلى أن وجد التاريخ الذي كان يبحث عنه. ورأته يجفل مذعورا وهو ينقر باصبعه على كل تقرير ممهور بتوقيعها.

سألها: «هل اشتغلت تلك الليلة؟» ذلك إذن ما كان يفتش عنه. البرهان.

ردت قائلة: «لقد اخبرتك بذلك.»

استدار عندئذ، يواجهها قائلاً: «هل من الممكن أن أكون مخطئاً إلى هذا الحد؟ ان بيتر...»

قاطعته: «لقد احضرني بيتر إلى بيتي بسيارته لأنه فكر في أنني مرهقة جداً، فإذا حدث لي حادث، وأنا أقود السيارة، فسيتعرض هو للاستجواب عن السبب الذي جعله يطلب مني العمل في الوقت الذي كان هو فيه يمرح في حفلة عائلية. لهذا احضرني وليس لسبب آخر، فهو ما كان ليعطيني ذلك النهار للراحة الا بثمن.»

قطب جبينه قائلاً: «ولكنك أنت... لقد رأيته يقبلك. وكذلك من قبل رأيتك تقبلينه مرة.»

قالت وهي ترتجف مشمئزة للذكرى: «نعم يا كلاي. لقد رأيتني اقبله. ذلك كان بعد أن رفضتني حين قدمت اليك نفسي دون أي رباط بيننا، لأنني كنت قد وقعت في غرامك دون أمل، على الأقل كنت اظن أن ذلك كان حباً.» وهزت كتفيها متكلفة عدم الاهتمام، ثم استطردت. «وعلى الأقل، صححت انت تلك الحماقة.»

أمسكها بكتفها، مما أزعج أليس، وهو يقول: «لماذا إذن..» ولكنه ترك جو وأخذ يهدىء الطفلة، وكأنه اعتاد على ذلك طيلة حياته، إلى أن عادت إلى النوم، فعاد يقول لجو. «لماذا قبلته؟» وكان صوته هادئاً ولكن نبراته الرقيقة كانت توحي بالخطر.

أجابت: «لأنك كنت هناك واقفاً عند باب المطعم لا تفقه شيئاً مما ترى. لقد كنت غاضبة جداً.» ولم تشأ أن تنظر في عينيه وهي تتابع: «لقد فعلت ذلك دون تفكير. لكي أثير غيرتك. لقد ادركت، بعد ذلك، انني سأدفع ثمن هذه القبلة.

ولكنني لم ادرك إلى أي حد سيكون هذا الثمن.» وابدت إشارة ازدراء وهي تتابع: «ان بيتر لويد ليس برجل يستهويني، وكنت، عندما قبلني حين اوصلني إلى بيتي، نصف نائمة، وإلا لما تجرأ على الاقتراب مني.»

صدرت عن كلاي أنة ألم وهو يقول: «لم يكن هناك رجل آخر.» ولم يكن هذا سؤالاً، ولكنها ردت قائلة: «كلا يا كلاي. لم يكن هناك أي رجل آخر.»

مرر يده على رأس الطفلة النائمة وهو يسألها: «هل هي ابنتي؟ ابنتي حقاً؟»

أومأت برأسها مجيبة: «بعد سفرك إلى كندا، أخذت أنا افكر. أدركت كم كنت مخطئة. ذلك لأنني لم أراع شعورك أبداً. لقد استبعدتك تماماً. و... وكانت لي اسبابي الخاصة في عدم رغبتي في الانجاب.»

قال بازدراء وكأنه ينطق بكلمة قذرة: «مهنتك؟»

أومأت برأسها بتعاسة: «نعم، إذا شئت.» ونظرت إليه بيأس ثم استطردت: «ولكنني القيت ببقية الحبوب، مصممة على أن نتحدث في هذا الأمر عند عودتك من كندا، ونقرر معاً كل شيء.» وبدا الاكتئاب على وجهها وهي تتابع. «يبدو أنني تصرفت بخطأ في كل أمر.» ثم وضعت يدها على الطفلة النائمة وهي تتابع: «إلا هذه التي هي عين الصواب في كل ما قمت به في حياتي.»

قال: «يجب أن تعودي إليّ الآن.»

تنفست بعمق ثم قالت: «هل ذلك لأنك وجدت البرهان؟ لا أظن ذلك، ياكلاي، لقد فات الأوان بالنسبة الينا. ويمكنك أن تكون راضياً إذ وجدت ابنتك.»

www.elromancia.com

بدا عليه وكأنه يريد أن يناقشها. ولكنه بدلاً من ذلك، أومأ برأسه وكأنه فهم مشاعرها. ثم قال: «وهل ستسمحين لي برؤيتها؟»

«طبعاً.»

قبّل الرأس النائم وقال: «تعالي. سأنقلكما معاً إلى البيت...»

قالت الأم باستياء: «إلى أين سيأخذها؟»

هزت جو كتفيها لتخفي شعورها بالعصبية، وهي تقول: «قال إنه قد يذهب إلى حديقة الحيوان. أليس هذه عادة الوالدين إذا كانا منفصلين؟»

قالت أمها محتجة: «هذا مكان بعيد. إنه لا يعرف كيف يتصرف معها.»

قالت جو: «لقد قلت له ذلك ولكنه قال إنه سيفكر في أمرٍ ما. إنه واسع الحيلة ويعرف كيف يتصرف.»

اهتزت اعصابها المتوترة إذ تعالى رنين جرس الباب. وساورتها الظنون في أنه قد يكون احضر معه امرأة للعناية بالطفلة! ولكنها شعرت بالارتياح إذ وجدته قادماً وحده.

قالت له: «انها جاهزة.»

وارتفعت ضحكات أليس عندما رفعها كلاي. وصرخت: «بابا.»

كانت جو تناضل لتعليم الطفلة هذه الكلمة الجديدة طيلة الأسبوع، ولكن، استعمال الطفلة لهذه الكلمة في هذا الوقت الملائم بالذات، لم يكن متوقعاً. وشحب وجه كلاي، وعندما عاد إلى طبيعته، نظر إلى جو قائلاً: «شكراً.»

تكلفت هز كتفها بعفوية وهي تقول: «انها كلمة جديدة.

وأنا احذرك، فهي ستكرر استعمالها إلى ما لا نهاية.»

قال وهو يلتقط حقيبة الطفلة: «انني لن أتذمر. أين معطفك؟»

«معطفي؟»

قال وهو ينظر إلى الحقيبة التي في يده: «نعم، يا عزيزتي، معطفك. إن محتويات هذه الحقيبة لا أفهم فيها شيئاً، وأنا في حاجة إلى ان اتدرب عليها.»

قالت محتجة: «ولكنك قلت انك ستتدبر امرك.»

ابتسم قائلاً: «سأفعل ذلك إذا أنت ساعدتني.» فقالت وقد ادركت فجأة قصده: «وإذا أنا لم آت معكما؟»

نظر إلى غرفة الجلوس قائلاً: «في هذه الحال سأضطر إلى الجلوس هنا طيلة النهار. هذا إذا قبلت أمك.»

قالت: «سأحضر معطفي.» وعندما عادت، كانت أليس قد شدت إلى مقعدها في السيارة. وكان كلاي قد طلب استعارة سيارتها لأجل هذا الغرض بالذات. عارضاً إعارتها سيارته بدلاً منها. واخذت الآن تتساءل عما إذا كانت هذه حيلة منه حتى لا يجدها في الخارج حين وصوله.

كانا قد سارا عدة دقائق حين انتبهت جو إلى أنه لم يكن يسلك بهما الطريق إلى لندن، فقالت: «كنت أظن أننا ذاهبون إلى حديقة الحيوانات؟»

«ان الجو بارد جداً.»

قالت: «ان أليس ملفوفة جيداً.»

«أعلم ذلك، إنما اليوم هو عيد ميلاد أبي، وقد وعدته بهدية خاصة. هل هي حيلة فظيعة؟»

قالت بجمود: «كان يجب أن تعلمني إلى اين تنوي

اخذها. فإن لي الحق في أن اعلم ذلك، افرض أن شيئاً قد حدث؟»

قال: «ولكنك معنا، فأنت إذن تعلمين؟»

برد الدم في عروق جو وهي تدرك كيف كان في إمكانه أن يأخذ أليس ويختفي بها دون أن يترك أثراً، وربما لن تراها بعد ذلك أبداً، لقد سمعت عن حدوث مثل هذه الأشياء.

قالت: «لا أحب أن تقوم بألاعيب معي، ياكلاي، لقد حملت أليس وحدي، وربيتها،، في الوقت الذي شئت أن تظنني فيه إمرأة... فاجرة...» وارتجفت وهي تنطق بهذه الكلمة، وتابعت: «وأنا قد اصبحت، مقبولة منك الآن مرة أخرى لأنك وجدتني على النحو الذي تريده.»

أطلق شتيمة خافتة وهو يقف بجانب الطريق ويقول: «ليس الأمر بهذا الشكل، فقد اردتك أن تأتي.» وحاول الاقتراب منها، ولكنها نفرت منه رافضة السلوى السهلة بين ذراعيه. وجلس مسنداً ظهره إلى الخلف يحدق من خلال زجاج السيارة دون أن يرى شيئاً، وقال: «كنت أود أن اخبرك ولكنني ظننت أنك لن توافقي.»

قالت: «كان تفكيرك صائباً.»

قال: «هل تريدينني أن اعيدك إلى المنزل؟»

جلست لحظة وقد توترت قبضتها وهي ترغم نفسها على تذكر مقدار الألم الذي عانته عندما طردها رافضاً تصديقها، ولكن وجه أبيه تراءى لها رقيقاً ودوداً. كان دوماً في منتهى الرقة معها. وإذا كان تصرف ابنه قد حرمه من رؤية حفيدته، فليس الذنب ذنبه في ذلك.

وتنهدت ببطء، ثم أومأت بالقبول، قائلة: «كلا. سنتابع

طريقنا، ولكن إياك أن تجرب مثل هذه الطريقة مرة اخرى.» وارغمت نفسها على النظر إليه، متجاهلة الاحباط الذي ظهر في عينيه، واستطردت: «كما ارجو أن تتدبر أمرك في المستقبل، للعناية بأليس، لأنني لن اكون موجودة دوماً لأقوم بدور المربية معكما.»

توتر فمه وهو يقول: «في هذه الحالة، سأستغني عن سرور مرافقة ابنتي.»

قالت: «كلا، هذه حماقة. يمكنك دوماً أن تجد من...»

قاطعها: «من تأخذ مكانك؟ أتظنين أنني كنت أعود اليك لو كان ثمة امكانية، مهما كانت ضئيلة، في أن أحب امرأة سواك؟»

«الحب؟» وافلتت هذه الكلمة من بين شفتيها وقد ذعرت للعنف الذي بدا في صوته. واستدارت تنظر إليه.

كانت شفتاه مقوستين بابتسامة ساخرة، واستطرد: «انها حماقة، أليس كذلك؟» وعاد يدير المحرك ويتفحص الطريق أمامه، ثم ينطلق.

ولم يكن يخترق الصمت الذي ساد بينهما سوى ثرثرة أليس أحياناً. ولكن، عندما صرخت بصوت واضح جلي: «بابا». قفز الاثنان.

لم تكن الزيارة بالسوء الذي تصورته، فقد كان ابتهاج السيد تاكيراي كبيراً بحفيدته. وأخذ البرود الذي يسود العلاقة بين الرجلين، يتلاشى وهما يتنافسان على تسليتها. وعندما خرج كلاي طلب والده من جو أن تعطيه وعداً بالاستمرار في زيارته، وعندما كانا وحدهما، قال لها: «لا تنتظري أن يحضرك كلاي.»

قالت تعده: «حسناً.»

قال: «إذا أردت أي شيء...» ونظر إليها بعنف، وأدركت أن له ايضاً تينك العينين الزرقاوين، وقد بهتتا قليلاً، ولكنهما ما زالتا تشعان بالسيطرة والقوة، وتابع: «أي شيء مهما كان، فتعالي إليّ.» ونظر من النافذة إلى حيث كان ابنه يهيىء السيارة، وتابع: «وليس عليك أن تذهبي إلى كلاي.»

قالت: «انني لا أذهب إليه أبداً.»

قال: «لكل منكما شخصيته، فكان للاختلاف ان يحدث، ولكنني ظننت...» وهز كتفيه «لقد تزوجت أمه بعد أيام من تعارفنا. انني عجوز احمق فقد ظننت أن الأمر معكما سيكون كما كان معنا، إذ كان حباً حتى الموت.»

قالت جو: «احياناً لا يكفي هذا، يا سيد تاكيراي.»

أدخل كلاي الحقيبة إلى المنزل ليجد جو تقرأ ورقة تركتها أمها تخبرها بأنها ستمكث الليلة عند اطفال اختها هيثر.

قال كلاي بشيء من السرور: «في هذه الحالة، فأنا لا أشعر برغبة في الذهاب. فأنا استطيع إذن ان اساعدك في غسل أليس ووضعها في الفراش.»

قالت جو بحدة: «كلا.» وسرعان ما اسفت لهذا عندما اجفل هو لعنفها ذاك. ولكنها كانت قد وصلت بمشاعرها إلى حد الانهيار. وقالت: «لقد كان يوماً مجهداً، وقد نالت أليس ما يكفي من اللهو واللعب.»

قال: «في هذه الحالة، سأنتظر إلى حين انتهائك. فإنّ ثمة ما أريد أن احدثك به، وإذا كنت تفضلين ان احدد لذلك موعداً في المكتب...»

قاطعته: «هذا ليس ضرورياً، انتظرني ولن أغيب طويلاً.»

صعدت جو السلم بضعف، وقد حملت على ذراعها أليس الثقيلة الوزن. وقامت بغسلها بسرعة ثم ألبستها ثياب النوم، وأخذتها بعد ذلك إلى سريرها.

قبلت الطفلة قائلة: «ليلة سعيدة يا أليس.» ثم وضعت لعبتها إلى جانبها.

سألتها: «بابا؟»

قالت جو تحذرها: «إنه وقت النوم، يا أليس.»

فهمت بالبكاء وهي تقول بصوت عال: «بابا.» وسمعتا صوتاً يقول: «هل ناداني أحد؟» واستدارت جو بينما رفعت أليس يدها تلوح لكلاي قائلة: «ليلة سعيدة يا بابا.»

انحنى على السرير يمرر يده على شعرها الاشقر قائلاً: «ليلة سعيدة، يا أميرة.»

خرجت من الغرفة، وبعد لحظة، لحق بها. وأخذ يسكب لنفسه كوباً من العصير.

قال وظهره إليها: «يجب أن تعودي، يا جو.»

سألته: «هل ذلك لأجل أليس؟»

أجاب: «هذا أحد الأسباب.» والتفت إليها ثم عاد يقول: «لقد كنت معتوهاً. ها أنني اعترف بذلك وقد يمنحك هذا شيئاً من الرضى. لقد كنت غيوراً لأنني احببتك دون أية غاية، ولكنك رفضت أن تدخليني حياتك.»

قالت: «الحب؟» إنها تلك الكلمة مرة اخرى. وعليها أن لا تسمح له بالتأثير عليها، وتابعت تقول: «لماذا تصر على القول انك احببتني بينما نحن نعرف لماذا تزوجتني؟»

قال: «هل نعرف ذلك؟ لقد بدأت اتساءل. لو أنني كنت اريد اسهمك اللعينة لاستطعت الحصول عليها بطلبها منك بكل صراحة.»

نظر إليها متحدياً وهو يستطرد: «إنها الحقيقة، يا جوانا. كوني صادقة مع نفسك.»

تضرج وجهها. لقد كان هذا صحيحاً، فقد كان يستطيع أن يأخذها منها، وقد تتوسل إليه بنفسها ان يفعل ذلك.

همست: «نعم. هذا صحيح! لماذا لم تطلبها مني إذن؟»

قال: «ألا تعرفين حتى الآن؟» وبخطوة واحدة اصبح بجانبها ليقول: «لأنني احببتك. ومازلت أحبك.» ووضع ذراعيه حولها برقة وهو يتابع قائلاً: «انني لم أشأ أن اطلب منك فعل أي شيء قد يفسد هذا الحب.» وتنهدت بألم من اعماقها. وتابع هو. «انني اعترف بأنني اردت أن اسيطر على شركة ريدموند.»

رفض أن يسمح لها بالتملص من بين ذراعيه قائلاً: «اهدإي واسمعيني. لقد حان الوقت لكي تعرفي كل شيء.» وهدأت هي بينما تابع قائلاً: «لقد جئت أبحث عن أبيك لأستعين به. وكتب إليه المحامون الذين كلفتهم، بذلك، عارضين عليه ثمناً جيداً لأسهمه. ولكنه لم يقبل. ولكنني لم أجد أباك بل وجدتك أنت. وكنت مزيجاً غريباً من البراءة والثقة بالنفس. واعترف انني لم افهمك تماماً. ولكنني عندما اتبعت العرض بالغزل، كنت سريعة الاستجابة.»

هنا حاولت أن تتكلم، ولكنه وضع اصبعه على فمها يمنعها من ذلك قائلاً: «ليس الآن فإنني لم أنته من كلامي يا

حبيبتي، عليّ أن أصارحك بأنك عندما اخبرتني بأنك بريئة، لم أستطع المتابعة. ولكن الأوان كان قد فات إذ كنت قد اصبحت غارقاً في الحب. لقد سحرتني.»

أخيراً، رفعت وجهها إليه قائلة: «ولكنني كنت متأكدة من أنك تزوجتني لكي تسيطر على اسهمي. فقد سمعت بعض الشائعات...»

قاطعها: «ليس للأسهم شأن بهذا وبعكسك أنت، يا عزيزتي جوانا، كنت دائماً أفصل بين العمل والأمور الشخصية. وكنت سأشرح لك هذا لو انك كنت قد وافقت على البيع. ولكنك رفضت البيع بعناد. وكان لدى هنري نفس الانطباع، وهكذا نجحت أنا ما دمت امسكت يدك عن البيع مطلقاً.»

قالت: «انني لم اكن انوي بيعها ابداً. ولكن تشارلز اقنعني في ما بعد، بصواب بيعها.»

قال: «انني اصدقك. وقد كان هو محظوظاً لأنني انتهيت إلى امتلاك اسهم كافية لاستبعاد أي شخص آخر يطمع في ذلك. لقد كانت شركة ريدموند تتوسل إلى من يأخذ بمقاليدها، فقد كانت ذات ادارة متشعبة النظام وغارقة في الفوضى يحكمها ديكتاتور لم يشأ أن يرفع قبضته عنها بالرغم من مرضه. الذي كان يمنعه من العمل.»

قالت: «وكانت هناك مبالغ ضخمة مخصصة للتقاعد تنتظر من يستغلها.»

قال: «بالضبط، ما لم أرده أن يحدث. فقد كانت شركة ريدموند شركة جيدة ومن المؤسف أن تنهار بهذا الشكل.»

قالت: «كان ينبغي أن تشرح لي كل هذا، لأنني لم اسمع

سوى الشائعات. ثم اكتشفت انك تعرف هنري دبلداي، فاتضح لي كل شيء.»

سألها: «ولماذا لم تأتي إليّ؟»

هزت رأسها قائلة: «عندما سمعت الشائعات، في البدء، ظننت انك قد تكون متورطاً. ولم أشأ أن اصدقها، لم أشأ أن اصدق ما يعني ذلك، أردت أن اثق بك. واصدق انك احببتني، وعندما تأكدت من ذلك، كان الأوان قد فات.» وارغمت نفسها على ان ترفع ناظريها إلى وجهه تفتش عن أية إشارة تدل على أنه كاذب، وقالت: «لقد قلت انك اشتريت الشركة للإضرار بي.»

قال: «ربما قد فعلت هذا. ولكن اعلمي انني لو اردت الاضرار بك تلك الليلة في الجبل عندما كنت تحت رحمتي كلياً، فقد كان الأمر سهلاً. ولكنني لم استطع، لم يسمح لي حبي لك بذلك.»

قالت: «أوه، ياكلاي. لشد ما أنا آسفة. انني شديدة الأسف حقاً. ولكنني لم أكن أعلم، لأنك لم تخبرني قط.»

قال: «لقد كان ذلك استهتاراً مني اذ كنت أظن انك تعلمين. وها انني اخبرك بذلك الآن. انني لن اسمح لك ابداً بالنسيان إذا انت منحتني فرصة اخرى اثبت فيها حبي لك.»

وضعت خدها على صدره العريض، تستمع إلى نبضات قلبه تستمد منها الراحة والأمان، وهي تقول: «انك لا تريدني ان اعود لأجل أليس فقط، إذاً؟»

أمسكها بعيداً عنه، ناظراً إليها بعينين تتألقان بمشاعر القوة والسيطرة التي لم تستطع فهمها، وهو يقول: «إذا أنت اخبرتني الآن أن كل شيء قد انتهى، وأن ليس لنا حظ في

الحياة معاً، فسأرحل بعيداً، ذلك أن الضرر الذي الحقته بك لم يكن قابلاً للغفران، وإذا أنت صممت على ذلك فسأنفذه. ولن اضايقك أو أضايق أليس بعد الآن.» وتوتر فكه وهو يتابع كلامه: «ستبقى أليس ابنتي على الدوام ولن تكون في حاجة إلى شيء أبداً، وسيسرني أن اكون سنداً لكما انتما الاثنتين. ولكنني لن استطيع أن اراك بعد ذلك وأنا أدرك انك لن تكوني لي. وإذا كان هذا يعني ان أخسر أليس، فلن أبالي.»

كان يرتجف وهو يتكلم، وأدركت هي حالته هذه فأحاطته بذراعيها بينما تابع كلامه: «ولكنني لا أظن أنك ستدعينني أرحل، يا حبيبتي، لأنني لن أنسى جوابك لي حين سألتك مرة ان كنت تحبين والد أليس. لقد كان جوابك هو: «أحبه من كل قلبي وإلى أن أموت.» فنظرت إليه وقد استولى عليها العجب، لقد تلاشت كل آلامها في الحب الذي تمكنت أخيراً، من أن تتبينه.

عاد يقول: «انني لن أتدخل في ما تريدين عمله، يا جو. يمكنك أن تعملي، أن تحتفظي بمهنتك. لقد وعدتك بوظيفة دائمة مدى الحياة. لكي ابقيك معي فترة. انها ما زالت لك إذا كنت تريدينها.»

أجابت: «لقد كانت مهنتي ذات اهمية كبرى عندي في يوم من الأيام، تعال واجلس لأنني سأشرح لك السبب.»

وتصلب جسده شاعراً بأنها سترفضه، ولكنها قالت: «انه شيء ينبغي عليك أن تعرفه.»

أومأ برأسه، ثم جلس بجانبها على الأريكة وهو يسألها: «ما هو هذا الأمر؟»

قالت: «انها قصة عن بنت صغيرة لها أخت أكبر منها... أكبر منها بعشر سنوات. لقد كان بينهما اطفال آخرون، ولكن لم يكتمل حمل أي منهم، إلى أن جاءت هذه الطفلة. وأخبر الأطباء والديها بانها آخر ما يمكنهما انجابه.»

تنفس بحدة، ولكنها، استمرت في قصتها. كان من المهم ان يتفهم الأمر. بل وله الحق في ذلك.

تابعت: «لقد كان الوالد حزيناً وهو يدرك أنه لن يكون له أبداً ولد ذكر يسير على منواله، وهكذا شجعت الأم طفلتها على هذه اللعبة التي هي، كما اخبرتها، أن تمثل دور الابن لأبيها.»

أراد كلاي أن يمسك بيدها، ولكنها منعته من ذلك وهي تتابع: «ولم تمانع الفتاة الصغيرة، فقد رأت في ذلك متعة وتسلية. ولم تهتم عندما كان عليها ان تضع نظارات وحمالات للسروال الذي كانت قد اخذت ترتديه على الدوام. لم يهمها ابتعاد الفتيان عنها لأجل هذه الأشياء.»

قال كلاي: «جو!»

لكنها تابعت كلامها: «ومن حسن الحظ انها كانت ذكية. ولأنها كانت تنافس الفتيان في صفوف الدراسة، فقد تألقت في المواد الدراسية التي كان الفتيان يحسنونها، عادة، مثل الرياضيات والعلوم، وكان من السهل عليها التصرف كالفتيان تماماً. فتبعت والدها في مهنته لتريه عدم اهمية أن يكون له ولد ذكر...» ودهشت إذ صدرت عنها شهقة. وأمسك بيدها قائلاً: «أرجوك يا حبيبتي، هذا يكفي. فقد فهمت كل شيء.»

تألقت ابتسامتها من خلال الدموع، وهي تقول: «لا بأس يا كلاي. وعندما اجتازت الفتاة كل امتحاناتها، تخرجت...

وهكذا اصبحت مهندسة... مثل ابيها تماماً، ووجد هو في الأمر متعة. وأظنه... أظنه كان فخوراً بها. وعند ذلك توفي، وكان عليّ أن احاول، جاهدة، الحلول مكانه...» وسكتت فجأة، إذ لم تعد تستطيع اكمال كلامها. واحتضنها هو إلى أن هدأت شهقاتها واستكانت إلى ذراعيه.

سألها: «هل كان يعلم بما كنت تحاولين أن تكوني؟»

هزت رأسها قائلة: «لا أظن أن هذا قد خطر بباله قط. لقد كان ينظر إليّ فقط مستمتعاً بمظهري الصبياني، أما أمي، فلم تحاول ان تثنيني عن ذلك.»

قال: «تباً لي بينما أنا لم افهم هذا. لقد كنت أظن فقط انك لا تهتمين بي، وأن اهتمامك كان منصرفاً إلى مهنتك اللعينة تلك.»

قالت: «كان عليّ ان اخبرك بكل هذا.»

قال: «وهل منحتك أنا فرصة لذلك؟ لقد تواريت فجأة بعد أن ثارت في نفسي كبرياء الرجولة.» واحضر لها كوباً من الماء قائلاً: «اشربي هذا ببطء.» وأخذ ينظر إليها وهي ترشف الماء. ثم قال: «هل تريدين أن تتابعي العمل، يا عزيزتي؟»

«لا أظنني أحسن أي شيء آخر.»

«يجب أن تفعلي ما ترغبين فيه تماماً.»

قالت: «لا أدري ما الذي أريد، إلا انني...» واستدارت تواجهه لتتابع. «إلا أنني اريد أن اعود إلى بيتي، معك، هذا إذا كنت ما تزال تريدني.»

الفصل العاشر

هتف كلاي وهو يأخذ وجهها بين يديه: «أريدك؟» وأخذ يلتهمها بعينيه لحظة طويلة توقف اثناءها قلبها عن الخفقان وهي تعود فتكتشف كل ملامح وجهه المحبوب الذي لوحته الشمس والرياح.

أخذها برقة بالغة، بين احضانه فترة طويلة، ثم أبعدها عنه لينظر إلى وجهها قائلاً: «هل أجبت، بهذا عن سؤالك؟»

لامس سؤاله هذا مشاعرها، فأومأت بالايجاب دون أن تقوى على الجواب لشدة سعادتها. وعاد يأخذها بين ذراعيه قائلاً: «علينا إذن، أن نقرر شيئاً هاماً جداً، قبل ذلك.»

أسرعت خفقات قلبها وهي ترى التصميم في وجهه وسألته: «شيئاً هاماً؟ وما هو؟»

قال: «ان اهم شيء، يا عزيزتي، هو، إلى أي مكان في العالم تريدين أن آخذك في شهر عسلك؟»

تمتمت وهي تبتسم بسعادة: «لا حاجة بك لذلك، فأنا أعلم مقدار انشغالك. وأنا سأكون سعيدة تماماً إذ... ابتدىء حياتي من جديد.»

قال: «وسنكون كذلك دوماً. ولكن عملي لن يشغلني عنك أبداً بعد الآن، يا جوانا.» ووضع خده على شعرها متابعاً: «إضافة إلى هذا، فإن عمال الديكور لن ينتهوا من غرفة

أليس قبل عشرة أيام على الأقل، ولا أظنك تتوقعين مني أن انتظر كل هذا الوقت.»

أجفلت وحدقت فيه قائلة: «عمال الديكور؟ حتى أنك لم تعتقد أنني سأقول لا؟ إن غرورك هذا...»

قاطعها وهو يضع يديه حول خصرها يجذبها إليه: «أحبه من كل قلبي وحتى الموت... أليس هذا قولك؟ هل تريدين أن تغيري رأيك؟»

هزت رأسها قائلة برقة: «كلا. لا أريد أن اغير رأيي.»

ابتسم قائلاً: «حسناً، هذا الأمر قد انتهينا منه الآن. اخبريني إلى أي مكان في العالم تريدين أن تذهبي؟»

فكرت برهة ثم قالت: «لا أدري. فالوقت أصبح متأخراً بالنسبة للشواطىء، وغير مناسب بعد للرياضة الشتوية. ربما علينا أن ننتظر فترة. حتى مجيء الصيف مثلاً.»

قال: «انك لا تسمعينني، ياجو، اننا سنسافر بعيداً لأسبوعين على الأقل، وذلك لكي يتعود الجميع على وضعنا الزوجي هذا. وعندما سألتك إلى أي مكان في العالم تريدين أن تذهبي كنت أعني ما اقول. فهناك الشرق الأقصى. أميركا الجنوبية، استراليا.»

اتسعت عيناها قائلة: «هل إلى هذا البعد؟»

أجاب: «أي مكان في العالم تحبين أن تذهبي إليه، فقط، اخبريني.»

ابتسمت حالمة وهي تقول: «اي مكان؟»

عاد يقول: «أي مكان.»

قالت: «في هذه الحالة، يا حبيبي، فأنا أحب أن امضي شهر عسلي في جزيرة خالية.»

www.elromancia.com

نظر إليها مستفسراً: «جزيرة خالية تماماً، أم أنها تحوي بعض التسهيلات المنزلية؟»

فكرت برهة ثم قالت: «بل تحوي بعض التسهيلات المنزلية.»

قال: «اذن، فعليّ أن احذرك من أنني لا انوي أن أضيع أوقاتي، هناك، في صيد السمك.»

كان في جزر «المالديف» كل ما كانت جو تحلم به. لقد امضيا اسبوعين في السباحة وركوب الزوارق وكأن ليس في الدنيا سواهما.

قال لها وهما يتمشيان في آخر يوم من أيام رحلتهما على الشاطىء: «سنعود إلى الواقع غداً، فهل عندك مانع؟»

قالت: «كلا. لقد امضيت وقتاً رائعاً. ولكن اوقاتي كلها ستكون رائعة معك.»

قال وهو يقبل شعرها: «ما هذا المديح؟ ثم أنك مشتاقة إلى أليس، أليس كذلك؟»

نظرت إليه شاعرة بالذنب، ولكنه طمأنها قائلاً: «لا بأس ياجو، فأنا مشتاق إليها مثلك. انني اتلهف إلى العودة لكي نكون، جميعاً، اسرة حقيقية.»

قالت: «سأذكرك بذلك عندما تستيقظ في منتصف الليل تريد أن تشرب.» وألقت إليه بنظرة جانبية من تحت اهدابها الداكنة الكثيفة، وهي مترددة في أن تفصح عما يجول في نفسها.

بدا عليه أنه يستطيع أن يدرك ما في نفسها، فقال: «نعم.»

قالت: «انني لا أريد العودة إلى المكتب. سأشعر وكأنني من معروضات متحف الشمع. ذلك أن كل شخص سيحدق بنا

عندما نعود معاً في نفس اليوم، وقد صبغت الشمس جلدينا.»

قال: «لقد أطلعت المديرين عندي على كل شيء باختصار، قبل أن أسافر. ذلك أن من حقهم معرفة الحقيقة عنا قبل أن تسري الشائعات السخيفة عندما يروننا نغيب في نفس الوقت. خصوصاً وقد تسببت بذلك إذ قمت بتلك اللعبة وذلك بإرسال سلة الورود اللعينة تلك، وبعد ذلك بساعة، وجدت استقالة بيتر لويد على مكتبي.» وألقى نظرة عليها، ثم تابع: «لقد اخبرته أن لا ضرورة لذلك. ولكنني أظنه سيذهب على كل حال.»

سكت وهو يجذبها نحوه ويتابع: «كوني واثقة من ان كل شخص يدرك الآن أنك امرأة متزوجة محترمة، وأنك كنت دوماً كذلك. والآن، أظننا ابتعدنا في سيرنا بما فيه الكفاية، وكذلك في حديثنا. وهذه هي ليلتنا الأخيرة في الفردوس وليس في نيتي أن اضيع لحظة منها.»

قال يسألها: «ما الذي يمكن أن أضعه على هذا الفرع؟»

ناولته جو دمية خشبية صغيرة، وهي تقول: «هذه ستبدو مناسبة. وأظن هذا يكفي. فإن الشجرة ستتهاوى إلى الأرض إذا أنت علقت عليها أي شيء آخر.» وناولته صورة وهي تقول: «ضع هذه فقط على قمة الشجرة.»

وضع الصورة على القمة، وأشعل النور، ثم تراجعا إلى الخلف لكي يتأملا المشهد.

قالت: «انها رائعة، ياكلاي. وأنا شديدة اللهفة لكي تراها أليس غداً، لقد كانت اصغر من أن تفهم ذلك في عيد الميلاد الماضي.»

وضع ذراعه حولها قائلاً: «انني اتمنى فقط لو...» فقالت وهي تضع يدها على فمه: «لا تقل شيئاً. لا تضيّع لحظة في الندم. المهم الآن أننا سنمضي بقية حياتنا معاً.»

قال: «معك حق، يا سيدة تاكيراي. وعندي الآن هدية العيد لك.»

انحنى يلتقط لفافة من اللفافات العديدة الملونة التي تنتظر مجيء الصباح، وقد كتب عليها «عيد سعيد». أخذتها منه وادارتها في يدها وهي تسأله: «ما هذه؟»

قال: «لماذا لا تفتحيها، يا عزيزتي، لتري ما فيها؟»

وببطء، أخذت تفتح اللفافة، ثم نظرت إليه قائلة: «ما هذا؟ جريدة؟ هل هي مزحة؟»

قال: «إنه عدد هذا النهار من «التايمز». طالعي صفحة الاجتماعيات وانظري ما فيها.»

فجأة، أدركت ما هناك، فقالت: «كلاي... إنك لم تفعل ذلك؟»

قال: «لقد وعدتك.»

ضحكت قائلة: «آه، ياكلاي.» وفتحت الجريدة بسرعة ثم توقفت ضاحكة. كان قد كتب على صفحة كاملة من الجريدة (انني أحبك، ياجوانا تاكيراي، من كل قلبي، وحتى الموت ـ كلاي.)

نزلت من عينيها دمعة، على الصفحة، ثم اخرى. ثم رفعت إليه عينين مخضلتين بالدمع وهي تهمس: «انني لم أبك من الفرح قط من قبل.»

قال بتأثر: «انني انصح كل انسان ان يفعل ذلك ولو مرة في حياته.»

قالت: «اشكرك على أجمل هدية تلقيتها في حياتي.» ومسحت دموعها بأصابعها وهي تقول: «وعندي شيء لك، أنا ايضاً. وكنت أريد أن اعطيك إياه غداً، ولكنني أريد أن اعطيك إياه الآن، إذ أرى أن هذا هو الوقت المناسب لذلك.»

فكت مغلفاً من الشجرة، ثم ناولته. وأمسكه لحظة، بين اصابعه. ثم فتحه وسحب من داخله ورقة.

ضاقت عيناه وهو يسألها: «ما هذا؟»

قالت: «اقرأها اولاً، فتعلم.»

بسط الورقة ثم ابتدأ بقراءتها. وأظلم وجهه عندما انتهى وقال: «ولماذا تفعلين ذلك؟» فارتجفت شفتاها لردة الفعل عنده، وقالت: «ظننتك ستسر بذلك.»

قال: «وانا اوضحت لك انني لا أريد أن تفعلي أي شيء، أي شيء فقط لكي تسّريني. إن لك مهنة كبيرة. وستندمين على هذا العمل، بعد شهر واحد، وستلومينني، عند ذاك.»

رمى باستقالتها إلى الأرض، ومضى إلى الطاولة يسكب لنفسه كوب عصير. ثم التفت إليها قائلاً: «هل اسكب لك كوباً؟»

هزت رأسها نفياً غير قادرة على الكلام. فنظر إليها برهة ثم شحب وجهه فجأة وهو يسألها ونظره على رسالتها الملقاة على الأرض: «هل سبب ذلك انك مريضة...؟»

قالت: «كلا، يا حبيبي، انني لست مريضة، ولكن، ألم تقل مرة، أن صعود السلالم ونزولها، عندما تكون المرأة حاملاً، هو من مساوىء الوظيفة؟»

www.elromancia.com

بقفزة واحدة، كان إلى جانبها يحيطها بذارعيه وهو يهتف: «حامل؟ هل أنت حامل؟»

قالت: «هل أنت غاضب؟»

قال: «غاضب؟ تباً لك، ولماذا أكون غاضباً؟»

قالت بهدوء: «لأنك صرخت. كما أنك قد تؤذيني.»

فنظر إليها بدهشة ثم تركها فجأة، وعاد يعانقها مرة أخرى آخذاً إياها بين ذراعيه: «آه، انني آسف ياجو. إنه ذنبي أنا.»

نظرت إليه وقالت وقد أضاءت ابتسامة عينيها الجميلتين: «ذنب من يمكن أن يكون، إذن؟ الذنب ذنبك طبعاً. ولكن، إياك أن تشعر بالأسف، لأنني أنا لست آسفة أبداً. فأنا الآن اسعد ما يكون.»

هز رأسه ليستطيع التفكير بشكل اوضح، وهو يقول: «هل أنت متأكدة؟ يمكننا أن نحضر مربية، فتبقين أنت في مهنتك...»

قالت: «مهنتي؟ كلا يا عزيزي. أرجو منك أن تفهمني، لقد سبق وضيعت أوقاتاً رائعة كان يمكن أن امضيها مع أليس. كان هذا بالرغم عني. إذ كنت محظوظة لامكاني الاستمرار، عند ذاك، في عملي. ولكن، لا شيء من التضحية في هذه الاستقالة الآن، ذلك انني قررت، ببساطة، الانتقال إلى وظيفة أخرى.» ووضعت ذراعيها حول عنقه وهي تتابع: «ان وظيفة الأم والزوجة ستناسبني تماماً منذ الآن.»

قال وعيناه تلمعان: «هل هذا صحيح؟ في هذه الحالة، يا سيدة تاكيراي، اظن ان من الأفضل ان تتمرسي على ذلك. إذ

انك تحسنين وظيفة الزوجة إلى درجة معتبرة تساعدك على التفوق.»

قالت: «ولكنني في حاجة إلى بعض المساعدة.»

فحملها عالياً بين ذراعيه وهو يقول: «هذه ليست مشكلة، يا سيدة تاكيراي. إذ أن كل عون تحتاجينه ستجدينني أقدمه لك على الفور. وإنّ علينا أن نبدأ منذ الآن.»

تمـــــت

www.elromancia.com